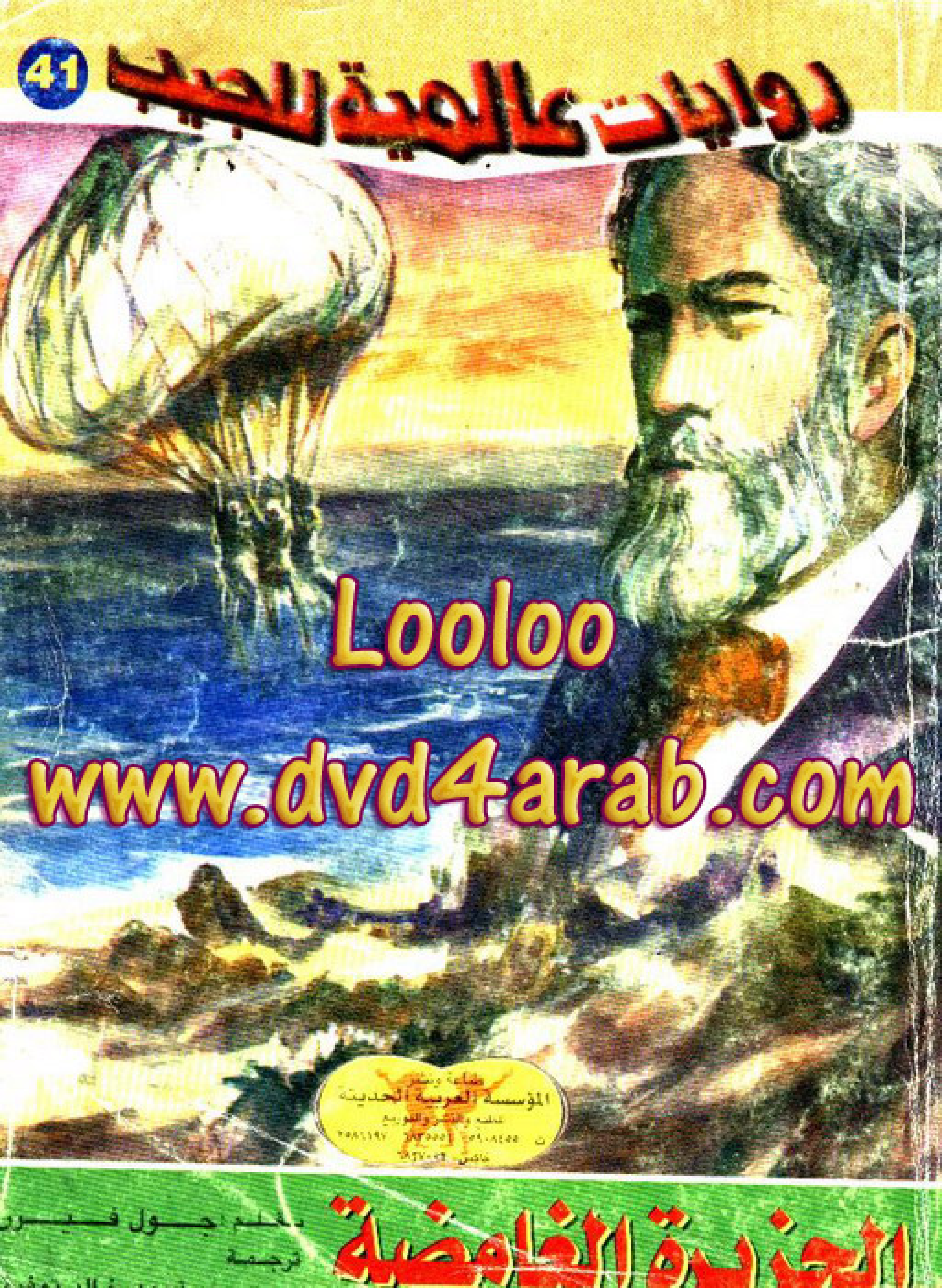

41
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
الجزيرة الغامضة
بقلم جول فيرن
ترجمة

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



للمرة الثانية نلتقى فى هذه السلسلة أبا الخيال العلمى .. (جول فيرن) .. الكاتب الفرنسى العظيم الذى ولد عام 1828 ، وتوفى عام 1905 ، والذى لم يكف خياله عن التوهج لحظة واحدة ومن العسير أن نحصر كل الإضافات التى أدخلها دون أن نشعر على وجداننا ..

ها هو ذا (فيلياس فوج) يحاول أن يدور حول العالم فى ثمانين يومًا ، و (ميشيل آردان) يحاول الوصول إلى القمر عبر ماسورة مدفع ، وها هم أولاء الذين هبطوا إلى ٢٠ ألف فرسخ تحت البحر فى غواصة الكابتن (نيمو) ـ أول غواصة سمع عنها الإنسان ـ ومحاولة (ميشيل ستروجوف) رسول

القيصر كى يوصل رسالته .. كل هؤلاء يمثلون بعض ثمرات عبقرية هذا الرجل ..

ربما ما كان (جول فيرن) ليحدث هذا التأثير فى الأدب العالمى لو أنه نجح فى خطته الأولى : أن يكون كاتبًا مسرحيًا ناجحًا .. لكنه فشل .. وفى ظروف مجهولة ظهر من جديد إلى العالم عام 1869 بروايته (خمسة أسابيع فى منطاد) التى دوى نجاحها فى أجواء (باريس) ، وهكذا حدد مصيره ككاتب خيال علمى بارع .. ربما الأول من نوعه كذلك ..

وقدم لنا أعظم روائعه فى سلسلة تدعى (رحلات فوق العادة) التى تضمنت (الجزيرة) و(رحلات الكابتن هاتيرا) و (سيد العالم) و (20 ألف فرسخ تحت البحر) و (رحلة إلى مركز الأرض) و (من الأرض إلى القمر) .. الخ ..

كان العام 1955 هو عام السعد بالنسبة للسينما العالمية ، التى أدركت فجأة أنها قادرة على استغلال مؤلفات الرجل مجانًا بعد مرور خمسين عامًا على

وفاته ، وهكذا عرف المشاهدون كنزًا اسمه (جول فيرن) ، والحقيفة أن أكثر الناس يعرفون أعماله من خلال السينما ، وليس من خلال الكتاب ..

ولربما كان التكرار مملاً ، لكن هناك دائمًا من يأتون متأخرين ، لهذا أكرر من جديد خلاصة كلام الدكتور (لويس عوض) : إن (جول فيرن) الفرنسى و (هـ .. ج . ويلز) الإنجليزى يوضعان دائمًا فى سلة واحدة ، باعتبارهما من أوائل من كتبوا الخيال العلمى ، لكن د. (لويس) يرى ـ وهو على حق ـ أن (ويلز) يكتب الخيال العلمى بعقلية مفكر وفيلسوف يحاول أن يقول الكثير فى السطور وما بينها ، بينما (فيرن) كاتب مغامرات لا يهمه إلا أن يكون ممتعًا ، وأن يكون دقيقًا فى حساباته وأرقامه .. لا أكثر ولا أقل ..

هذا يضمن لنا ـ على الأقل ـ أن قصة اليوم ستكون ممتعة حقًا !

من أهم أعمال جول فيرن :

- خمسة أسابيع فى منطاد 1869
- رحلة إلى مركز الأرض 1864
- من الأرض إلى القمر 1865
- 20 ألف فرسخ تحت البحر 1870
- الجزيرة الغامضة 1870
- حول العالم فى ثمانين يومًا 1872

* * *

الجزء الأول : السقوط من السحب

الفصل الأول

ـ « هل نحن نرتفع ثانية ؟ »

ـ « بل على العكس .. »

ـ « أترانا نهبط ؟ »

ـ « بل أسوأ يا كابتن ! نحن نسقط ! »

ـ « بحق السماء !! ألق ثقل الموازنة ! »

« أسمع ما يشبه هدير الأمواج .. لابد أن ارتفاعنا لا يزيد على خمسمائة قدم فوقها الآن ! »

ـ « تخلصوا من كل شىء ! »

كانت هذه هى الكلمات التى ترددت فوق المحيط الهادى الشاسع ، فى الرابعة مساء الثالث والعشرين من مارس 1865 .. قليل من الناس يمكنهم أن ينسوا العاصفة الرهيبة التى هبت من الجنوب الشرقى ذلك

العام ، والتى خربت المدن ، واقتلعت الغابات ، وألقت بمئات السفن على الشواطئ ..

لكن بينمـا كانت الكوارث تجتـاح الأرض والبحر ، كانت هناك دراما لاتقل إثارة تدور فى الهواء الثائر .. كان هناك منطاد تقاذفته الريح العاصفة كما تتقاذف الأمواج كرة تسبح وسطهـا ، وبسرعـة ثمانين ميلاً فى الساعة ، راح يدور ويدور حول نفسه وسـط هذا الاضطراب الهوائى ..

وأسفل المنطـاد كـانت هنـاك سلة تحمـل خمسـة مسـافرين ، بصـعوبة تراهم وسط البخـار والدخـان المتراكم فوق سطح المحيـط .. ربمـا تسأل من أين جاءت هذه اللعبة ؟ من أى موضـع فى العالم ؟ لكـن العاصفة كانت تثور منـذ خمسة أيام إلى الآن ، ومـن المؤكد أن المنطـاد جـاء من مسـافة بعيدة .. كـانت عيون الركاب عاجزة عن اختراق الضبـاب الكثيف المحتشد حـول السـلة .. بل إنهم كانوا عاجزين عن معرفة هل هذا نهار أم ليـل .. ولم يدركـوا إلا أنهم

يهبطون بسرعـة .. إلا أن المنطـاد الـذى تخلص من الأشياء الثقيلة كان قد ارتفع إلى أعلى طبقات الجو .. إلى ارتفـاع 4500 قدم .. ومر الليل فى أهوال تغنـى الموت لمن كانت أرواحهم أقل صلابة من هؤلاء ..

ثم جـاء النهـار ومعه بـدا أن العاصفـة تـتراجع قليلاً .. ومـع الفجر تحولت الأعـاصير إلـى نسـائم لطيفة .. أى أن سرعة حركة الطبقات الجوية صارت النصـف . وعنـد الحاديـة عشـرة صباحًا صفا الجـو وكان فيه ذلك البلل المعهود بعد مرور النيازك ..

لكن برغم هذا كان من الواضح أن المنطـاد يهبط ببطء .. وكأن كرته تضمحـل وتتحـول من كـرة إلـى بيضة .. وصار على ارتفاع 2000 قـدم فـوق المحيط عند منتصف النـهار .. حـاول الركاب التخلص ممابقى معهم مـن مؤن ، لكـن كـان مـن الواضـح أنهـم لـن يقدروا على إبقاء المنطاد فى السماء للأبد .. لابد أن يسقطوا فى النهاية ..

لم تكن من أرض على مرأى البصر .. ولا سفينة

واحدة .. كان من الواجب بأى ثمن أن يوقفوا هبوطهم لأسفل .. وحاول الراكبون بكل جهدهم أن يمنعوا المنطاد من الهبوط فى الأمواج ، لكن دون جدوى ..

مخيفًا بحق كان حال هؤلاء المسافرين التعساء .. لم يعودوا سادة مركبتهم ، وضاعت جهودهم سدى .. وبدأ الغاز يتسرب بلا فرصة لوقفه .. كان يتسرب من ثقب فى الحرير ،ولم يستطع المسافرون أن يبقوا المنطاد فوق الأمواج إلا بضع ساعات .. لكنهم كانوا رجالاً شجعانًا لم ينبس أحدهم بكلمة شكوى ..

الآن صار المنطاد على ارتفاع مائتى متر فوق الماء .. وقال أحد الرجال الشجعان :

ـ « لامفر من أن نتخلص من السلة ذاتها ونتمسك بالحبال ! »

كان هذا فى الواقع آخر شىء يمكن تخفيفه ، وسرعان ما قطع الرجال الحبال ، وراحوا يتمسكون بالحبال وينظرون من عل إلى المحيط .. والحقيقة أن هذا أخل بالتوازن الرياضى الدقيق الذى يحكم ارتفاع

المنطاد ؛ لهذا سرعان ما واصل الهبوط لأسفل .. لقد فعل الرجال كل ما بطاقة البشر ، ولم يعد بوسعهم إلا أن يأملوا فى رحمة الله فاطر الأكوان ..

فى الرابعة عصرًا راح كلب أحدهم ينبح ، حيث كان يلتصق بالحبل وبصدر سيده :

ـ « لقد أحس (توب) بشىء ما .. »

ثم صاح صوت عال :

ـ « أرض ! أرض ! »

لقد مشى المنطاد مسافة لا بأس بها .. وكانوا الآن يرون أرضًا باتجاه الجنوب الغربى .. لم يعلموا إن كانت جزيرة أم قارة ، ولم يعلموا إلى أى موضع من الأرض ساقتهم الريح ، لكن عليهم أن يصلوا هناك !!

بعد نصف ساعة كانت الأرض على مسافة ميل ، لكن المنطاد صار متداعيًا يحلق كطير جريح ، وقد تجعد وتهاوى ولم يبق من غاز إلا فى ثلثه العلوى ..

وقد راح من جديد يحاول الارتفاع ، ثم طار موازيًا للساحل .. وأخيرًا هبط على الشاطئ الرملى ..

وتعاون الرجال على انتزاع أنفسهم من الشبكة .. وسرعان ما حلق المنطاد وقد تحرر من ثقلهم ، وتلاشى فى الفضاء كأنما هو طير جريح يبعث للحظات ..

وما إن وقف الرجال الأربعة وكلبهم ، حتى تذكروا أن معهم خامسًا .. أين هو ؟ لابد أن الريح حملته معها لحظة الهبوط .. وتصايحوا :

ـ « ربما سيحاول السباحة إلى الشط .. دعونا ننقذه .. دعونا ننقذه ! »

★ ★ ★

الفصل الثانى

هؤلاء الذين قذفهم الإعصار لم يكونوا أصلاً ملاحين ولا هواة .. كانوا أسرى حرب دفعتهم بسالتهم إلى الفرار بهذه الطريقة الغريبة .. كانوا قد فروا من (ريتشموند) التى حاصرها الجنرال (جرانت) ، فى أثناء الحرب الأهلية الأمريكية المريعة(*). وقد استمرت رحلتهم الجوية خمسة أيام كاملة .. وكانت الأحداث التى قادتهم إلى هنا كالتالى :

فى نفس العام ـ فى فبراير 1865 ـ قام الجنرال (جرانت) بإحدى غزواته ، لكن الأمر انتهى بها إلى الفشل ، وأسر عدد من رجاله .. وكان من أهم هؤلاء

(*) حتى لا تختلط الأمور : الحرب الأهلية الأمريكية قامت بسبب رغبة الولايات الشمالية فى تحرير العبيد ، على حين رفضت الولايات الجنوبية ذلك ، وكانت القوات الشمالية تحت قيادة جنرال (جرانت) والقوات الجنوبية تحت قيادة جنرال (لى) . ومن الواضح هنا أن أبطال قصتنا شماليون وقعوا فى أسر الجنوبيين ، وأن (جرانت) حاصر الجنوبيين بينما أصدقاؤنا أسرى فى معسكرهم ..

الكابتن (سيروس هاردنج) .. وهو مهندس سكك حديدية بارع ، نحيل فى الخامسة والأربعين من عمره .. وقد بدأ الشيب بالفعل يغزو لحيته وشاربه .. له سحنة عسكرى بارع .. وفى لحظات الأزمات كان يظهر دومًا الصفات الثلاث التى تضمن النجاح : نشاط العقل والبدن ، والرغبات الطموح ، والعزيمة القوية .. ولقد خاض كل معارك تلك الحرب إلى جوار الجنرال (جرانت) الرهيب الذى كان يقول : أنا لا أعد قتلاى أبدًا . وقد كاد (سيروس) يصير مرارًا واحدًا من هؤلاء القتلى الذين لايعدهم الجنرال ..

وفى اليوم نفسه الذى أسر فيه ، سقط فى يد الجنوبيين رجل مهم آخر هو (جيديون سبيلت) ، وهو مراسل صحفى ، من الطراز الذى لا يدخر جهدًا ولا خطرًا كى يصل إلى المعلومة كاملة .. هو واحد من الذين لا يكتبون إلا تحت النار .. كان طويل القامة فى الأربعين من عمره ، له شاربان خفيفان وعينان ثابتتان مفعمتان بالحيوية ، وكان رسامًا بارعًا يرسم اسكتشات للمعارك ويرسلها لجريدته ..

وفى الأسر تعرَّف المهندسُ الصحفىَّ ، وتعلم الرجلان كيف يحترم أحدهما الآخر .. ومن البداية قررا أن يستغلا أول فرصة للفرار .. كان لدى الكابتن (هاردنج) عبد وفى أعتقه الأول من فترة ؛ لأنه كان مؤمنًا بإلغاء الرق ، لكن العبد أصر على أن يظل مع سيده ، وكان اسمه (نبوخذ نصر) لكنهم كانوا يطلقون عليه اسم (نيب) ..

فى هذا الوقت اشتد حصار الجنرال (جرانت) على الجنوبيين ، وخطر لهؤلاء محاولة اختراق الحصار فى منطاد ، طلبًا للمدد من قوات الجنرال (لى) ، وهكذا تم تصنيع المنطاد ، وتقرر لانطلاقه يوم 18 مارس .. إلا أن العواصف العاتية جعلت الإقلاع مستحيلاً ، بل إن إبقاء المنطاد على الأرض كان عسيرًا ..

ثم كان أن تعرَّف الكابتن (هاردنج) على بحار يدعى (بنكروفت) ، وهو رجل اجتاز المحيط مرارًا وعاش كل مغامرة يمكن لمخلوق ذى ساقين وبلاجناحين أن يعيشها .. سأله دون تحفظ :

ـ « ألم تمل هذه البلدة يا كابتن ؟ ألا تفكر فى الهرب ؟ » .

نظر له الكابتن مليًا وأدرك أن مَنْ أمامه رجل شريف يمكن الكلام معه بصراحة .. فقال له :

ـ « بلى .. لكن كيف ؟ »

ـ « بوساطة المنطاد الخمول الذى صنعوه بلا هدف ، والذى يبدو لى كأنما ينتظرنا .. »

وكانت الخطة بسيطة .. والمهندس البارع (هاردنج) يمكنه بالطبع أن يتحكم فى منطاد .. كما أن (بنكروفت) سيصحب معه أسيرًا مثله هو صبى يتيم يتبناه ويحبه كابنه ، اسمه (هربرت) ، وكانت الخطة خطرة .. من الممكن أن تفشل ويقتلهم الحراس رميًا بالرصاص ، لكن من الممكن كذلك أن تنجح !

ـ « سأصحب معى صديقى المراسل الصحفى (سبيلت) وخادمى (نيب) .. ولندع اللّـه ألا تنتهى العاصفة قبل أن ننفذ مشروعنا .. »

وهكذا خمسة أفراد شجعان قرروا أن يسلموا أنفسهم لرحمة العاصفة بدلاً من الأسر ..

وجاء المساء مبكرًا كعادته فى هذا الفصل ، ومعه جاء برد قارس .. ومطر عنيف .. كأنما ليعلن هدنة بين المحاصَرين والمحاصِرين .. ولم يكن فى هذا الطقس الردىء حارس واحد ليقف جوار المنطاد ..

وهكذا تسلل الخمسة إلى المنطاد ، وجلسوا فى السلة ، ولم يرهم أحد .. وشرع (بنكروفت) فى فك الحبال والتخلص من الأثقال .. هنا وثب كلب صغير إلى السلة .. كان هذا هو (توب) كلب الكابتن العزيز ..

وسرعان ما تم قطع الحبل الأخير ، وسرعان ما ارتفع المنطاد إلى عنان السماء ..

هنا أعلنت العواصف عن نفسها بعنف وشراسة .. ولم يستطع أحد أن يفكر فى الهبوط طيلة الليل ، وفى الصباح كان الضباب يجعل الهبوط مستحيلاً ..

خمسة أيام مرت عليهم فوق المحيط ، ولعل

القراء يذكرون الآن ما حدث لهؤلاء ، وكيف حملتهم العاصفة إلى جزيرة صحراوية نائية على بعد سبعة آلاف ميل من نقطة انطلاقهم ، وكيف وجدوا أنهم فقدوا واحدًا منهم .. كان هذا بالذات هو مرشدهم الكابتن (هاردنج) !

وقد نهضوا جميعًا وركضوا إلى الشاطئ أملاً في أن ينقذوه ..

* * *

الفصل الثالث

كانت الآن السادسة مساءً ، وقد حل الظلام . اتجه الناجون إلى شمال الأرض التى قذفتهم عليها الأقدار ، وهى منطقة لم يستطيعوا تخمين جغرافيتها .. ثمة أرض رملية تختلط بالحجارة ، ومن حفر معينة فيها راحت بعض النوارس تحلق فى أسراب عبر السماء . راحوا يمشون وينادون بأعلى أصواتهم كلما هدأت الأمواج قليلاً .. لاحظوا أنهم يعودون إلى البحر فى كل اتجاه يمشون فيه ، وقال (بنكروفت) :

ـ « تلك جزيرة صغيرة .. ومن الجلى أننا مسحناها من أحد طرفيها إلى الآخر .. »

كان هذا واضحًا .. جزيرة صغيرة لايزيد قطرها على ميلين .. لكن هل هى مجرد جزيرة منفردة أم جزء من أرخبيل جزر ؟ لم يكن بوسعهم أن يحكموا الآن فى هذا الظلام .. عليهم الانتظار حتى الصباح لمعرفة



راحوا يمشون وينادون بأعلى أصواتهم كلما هدأت الأمواج قليلاً ..

وضعهم ، والبحث عن المهندس الذى - للأسف - لم يبد أى أثر يدل على أنه حى ..

اقترح الصحفى أن يشعلوا نارًا على قمة ، علها تهدى المهندس إلى مكانهم ، لكنهم لم يجدوا قطعة خشب واحدة تصلح .. لا شىء إلا الرمال والحجارة ..

ومضت الساعات ثقيلة بطيئة .. راحوا يزجون الوقت بالسير إلى الساحل حيث هبطوا والنداء ، وقد لاحظوا أن صياحهم له صدى ، وقد لاحظ هذا الصبى (هربرت) وقال لـ (بنكروفت) :

- « معنى هذا أن هناك خليجًا إلى الغرب .. وهو ليس ببعيد .. »

كانت النجوم تلتمع فى السماء ، وما من نجم منها يمت لنصف الكرة الشمالى .. الدب القطبى لم يكن فى السماء ، وكان الصليب الجنوبى واضحًا .. وعند الفجر جاء من البحر ضباب كثيف يجعل الرؤية مستحيلة .. إلا أنه انقشع سريعًا ، وفى السادسة

والنصف غمرت الجزيرة شمس حارقة ، وسرعان ما بدا المحيط من حولهم ، وأدركوا أن الجزيرة الصغيرة التى هم عليها تتصل بخليج كبير جهة الغرب .. تفصلها عنه قناة ضيقة يمر بها تيار سريع .. وسرعان ما ألقى الزنجى بنفسه مع التيار عابرًا القناة .. اقتضاه العبور نصف ساعة حتى تمكن من الوصول إلى الشاطئ المواجه لهم .. وسرعان ما توارى خلف جدار من الجرانيت ..

لم ير (بنكروفت) داعيًا لهذه المغامرة ؛ لأن الجزر كان فى الطريق ، وكان يعرف أنه بمجرد حدوثه ستتحول القناة إلى ممر من الرمل الرطب يسهل عبوره على الأقدام ..

لم يكن الجانب الآخر لحسن حظهم يفتقر إلى الخضرة .. كانت هناك أشجار كثيفة تمتد من قمة حائط من الجرانيت .. وقد أنعشهم اللون الأخضر بعد ما اعتادوا اللون الأصفر الأجرد .. ولم يكونوا قد استقروا بعد حول كون هذا الشاطئ جزءًا من

قارة أم جزيرة أخرى ، لكن أى جيولوجى يرى هذه الصخور المتلوية ما كان ليشك فى كونها من أصل بركانى .. وقد راح الرجال يفحصون الجزيرة فى فضول ، إذ كانوا يعرفون أنهم سيمضون فيها أعوامًا طويلة ، وربما يموتون فيها لو كانت بعيدة عن طرق السفن ، كما هو الاحتمال الأرجح ..

وفى الخامسة عصرًا خلع القوم ثيابهم وصرّوها فوق الرءوس ، وعبروا الماء الذى لم يزد ارتفاعه الآن على خمسة أقدام ، أما الصبى (هربرت) الذى كان أقصر من ارتفاع الماء فقد سبح كسمكة ..

ومن دون صعاب وصلوا إلى الجهة الأخرى ، فارتدوا ثيابهم ، وجلسوا يتشاورون بصدد الخطوة التالية ..

* * *

الفصل الرابع

نهض الصحفى وقال للاثنين الباقيين : إنه سيعود لهم بعد قليل فى النقطة ذاتها ، ثم تسلق المنحدر الصخرى فى النقطة التى تسلقها الزنجى من قبل .. وسرعان ما توارى عند الزاوية ..

وطلب البحار المجرب من (هربرت) أن يجد لهم كهفًا يصلح كمأوى لهم .. فعليهم العثور على بيت وعلى نار وعلى طعام .. ونظر إلى جدار الجرانيت أمامهم .. كان صلبًا متماسكًا عجزت الأمواج عن أن تنال منه ، وأعلاه كانت أعداد هائلة من النوارس وطيور البحر ، التى تكفى طلقة واحدة لإسقاط عدد هائل منها .. لكنهم لم يكونوا يحتكمون على أسلحة نارية ، بالإضافة إلى أن هذه الطيور لاتكاد تؤكل ، وبيضها كريه المذاق .

أما الصبى فوجد على الصخور التى سيغطيها المد حالاً ، عددًا لابأس به من المحار الذى لن يكره الجائعون

التهامه .. وكان بارعًا فى التاريخ الطبيعى ، لذا عرف أن هذا ليس محارًا لكنه (ليثودوم) ، وهو نوع من القواقع المستطيلة التى تلتصق بالصخور فى عناقيد .. وتحدث فيها حفرًا عميقة .. وكان مذاقها كأنما يحوى بعض الفلفل مما جعله شهيًا بلا أية إضافات ..

بعد هذا بحثا عن الماء العذب .. وقد وجداه يخرج من شق فى الصخر صانعًا خورًا صغيرًا .. أما عن المنزل فقد وجدا أن الصخور الجرانيتية صنعت ما يسميه الجيولوجيون مداخن ، وكانت صالحة للسكنى .. لو أنهم سدوا بعض الفتحات بالحجارة والرمال .. وقدروا أنه لو ظهر الكابتن (هاردنج) ثانية ، فإن بوسعه أن يجعل هذا المسكن أكثر قابلية للسكنى ..

قال الصبى :

ـ شىء يقول لى : إن رجلاً نشيطًا مثل الكابتن (هاردنج) لن يترك نفسه يغرق ببساطة .. لابد أنه فى مكان ما من الشاطئ .. ألا تشعر بهذا يا (بنكروفت) ؟ »

هز البحار رأسه فى حزن .. لم يكن يتوقع أن يرى الكابتن (هاردنج) ثانية ـ لكنه أراد أن يترك بعض الأمل فى نفس الصبى .. فقال له :

ـ بلاشك .. بلا شك .. مهندسنا لا تقهره المشاكل التى يستسلم لها أى واحد آخر .. »

ومضى البحار والفتى يجمعان البيض من أعشاش الطيور فى منديل الأول ، ثم إنهما كوّما حملاً لا بأس به من الخشب الجاف لاستعماله كوقود .. وعادا يعدان الكهف الذى قررا اتخاذه للسكنى ..

قال الصبى :

ـ « ربما وجد رفاقنا منزلاً أفضل .. »

ـ « ربما .. لكن لا فارق هناك .. سنواصل العمل .. من الأفضل أن يكون هناك وتران للقوس من ألا يكون له وتر على الإطلاق ! »

الآن صار عليهما إشعال النار وإعداد العشاء .. اختارا للنار موضعًا يسمح بخروج الدخان لكنه يبعث

الدفء فى المكان .. وراح البحار يكوم الخشب والأوراق الجافة التى جمعاها .. ومن حسن الحظ أنهم كانوا يحتفظون بعلبة ثقاب .. ثقاب من النوع الذى يوضع فى علبة نحاسية فلا يؤذيه البلل ..

قال الصبى :

ـ « لو لم يكن معنا ثقاب لأشعلنا النار باحتكاك قطعتى خشب كما يفعل المتوحشون .. »

ـ « جرب ذلك يابنى ، ولنر إن كنا سنظفر بشىء غير إرهاق ذراعينا .. أعرف أنها طريقة ناجعة لكنى فشلت فى كل مرة جربتها فيها .. ربما كان للمتوحشين أسلوب ما ، أوهم يستعملون نوعًا بعينه من الخشب .. ولكن بالمناسبة .. أين ثقابى ؟ »

وراح يفتش فى جيوبه دون جدوى .. كان متأكدًا من أن الثقاب معه لأنه مدخن .. لكنه لم يجده لذعره الشديد .. وتأكد من أنه فقده فى أثناء ما شهدوه من أهوال لحظة الهبوط ..

ـ « وهل يمكن أن يكون هناك ثقاب مع الآخرين ؟ »

ـ « أشك فى هذا .. لا أحد منهم يدخن إلا الصحفى .. ولا أحسبه يهتم بالحفاظ على أعواد ثقابه .. »

فى المساء ، عاد (نيب) والصحفى .. رآهما (بنكروفت) من بعيد .. كانا وحيدين ! لم يجدا المهندس (هاردنج) ..

وغاص قلب الصبى ! وكانت عينا الزنجى حمراوين قالتا كل شىء عن الدموع التى ذرفها ، حين فقد كل أمل فى العثور على سيده .. أما المراسل الصحفى فكان منهكًا جائعًا عاجزًا عن قول كلمة ..

سأله الصبى عما إذا كان معه ثقاب ، ففتش فى جيبه .. بصعوبة وجد عودًا من الخشب هناك فأخرجه بحذر خشية أن يسقط ما عليه من فوسفور .. لقد صار هذا العود الصغير التافه أهم شىء فى العالم بالنسبة لهم .. دخلوا إلى الكهف ، وكوموا الخشب ثم صنع الصحفى قمعًا من الورق من مفكرته ، كما

يفعل المدخنون فى الجو العاصف .. وحبس نفسه وحك عود الثقاب فى قطعة حجر .. لم يشتعل .. إنه لم يحكه بالقوة المناسبة ، لأنه خاف أن يسقط ما عليه من فوسفور ..

ـ « لا أستطيع .. أنا متوتر ويداى ترتجفان .. أشعله أنت ! »

وناول العود للصبى .. فكان هذا أكثر توترًا ، (بروميثيوس) الذى سرق النار من (الأوليمب) فى الأساطير الإغريقية لم يكن بهذا التوتر .. اشتعل العود بلهب أزرق سرعان ما انتقل إلى القمع .. وبعد قليل سرت النار فى الخشب وراح الدفء ينتشر فى المكان ..

كان أول ما فكر فيه (بنكروفت) هو إعداد وجبة مغذية من البيض .. فقد جلب الصبى دستة منه .. ولم تكن هناك إلا طريقة واحدة لطهى البيض الآن : شيه على النار شيًا .. ولو كان هؤلاء الرجال بكامل

عددهم لكانت وجبة مبهجـة ، لكنهم كانوا يفتقدون رئيسهم ورأسهم المدبر ..

وعبثًا حاول الرجال الظفر ببعض النوم ، لكن هذا كان عسير المنال ..

* * *

الفصل الخامس

قرر الرجال أن يستكشفوا الجزيرة بعد أن يستردوا قواهم قليلاً .. لكن الزنجى أبى فى عناد أن يفارق المكان ؛ لأنه كان واثقًا من أن سيده لم يمت .. رجل كهذا لن يموت بهذه الطريقة السوقية .. وما لم ير الزنجى جثته ويلمسها ، فهو واثق أن سيده حى برزق ! كان إخلاصه غريبًا كإخلاص كلب يأبى أن يفارق قبر سيده ..

كان إفطار اليوم الأول يتكون من المحار وبيض الطيور ، وقد وجدوا بعض الملح فى حفر وسط الصخور ، وقد رحبوا بهذه الإضافة إلى طعامهم ..

اتفق الرجال على أن يبقى الصحفى يرعى النار كى لاتنطفئ ، وخرج (بنكروفت) والصبى إلى الغابة المجاورة للاستكشاف والصيد .. قاما ببرى بعض الأغصان على سبيل المدى ، ثم مشيا يفتشان ..

كان من الواضح أنه ما من بشر هنا .. لا أثر لفأس على شجرة أو رماد نار متخلف من معسكر ، وهذا شيء راق لهما .. لأنه فى جزيرة منعزلة وسط المحيط الهادى كهذه ، يغدو وجود الإنسان أكثر خطرًا من عدمه .. كانت هناك بقايا حيوانات بدا كأنما أكلتها وحوش أكثر ضخامة ، وقد جعلهما هذا يعرفان أن هذه الجزيرة لا تخلو من المتاعب ..

عامة لم يكن الصيد موفقًا .. لكنهما وجدا مجموعة من الطيور غريبة الشكل ، لريشها بريق معدنى غريب ، وقد احتشدت حول جذع شجرة تحاول الظفر ببعض الحشرات .. هجما عليها وأسقطا منها عددًا كبيرًا بضربات سريعة بالعصوين .. كانت الطيور غبية حقًا ولم تحاول الفرار ..

كما استطاعا صيد بعض طائر الطيهوج .. وكان هذا مرضيًا لهما ؛ لأنهما لن يعودا إلى المعسكر خاليي الوفاض .. وفى السادسة مساءً بدا الأفق منذرًا بعاصفة دانية .. عاصفة شديدة ..

كان الصحفى شارد الذهن حين عادا ، وكان يرمق البحر فى تركيز ، ولم يلبث أن سأل البحار :

ـ « هل تذكر أين كانت السلة حين هبطنا ؟ »

ـ « كنا على بعد (كابلين) .. أى ستمائة قدم على الأكثر .. »

ـ « أى أن (هاردنج) قد فقد منا على بعد ألف ومائتى قدم من الشاطئ .. والغريب هنا أنه وكلبه لم يظهرا ، ولم يلق البحر بجثتيهما .. »

ـ « من الوارد مع هذه الأمواج الثقيلة أن يجرفا بعيدًا .. »

ـ « ما زلت ـ مع احترامى التام لخبرتك ـ أجد فى الأمر شيئًا غريبًا .. »

قام البحار (بنكروفت) بإعداد طائر الطيهوج وثبت عددًا منه على عصا ، وبدأ الشى على النار .. كان (نيب) الزنجى قد تأخر كثيرًا ، وقد جعل هذا (بنكروفت) يشعر بقلق غامر عليه .. هل أصابه حادث على هذه

الجزيرة الغامضة ؟ لكن الصبى (هربرت) فسر هذا الاختفاء لصالح (هاردنج) .. ربما كان (نيب) الآن فى طريقه خلف خيط ما مهم .. ربما هو قريب من سيده أو وجده فعلاً .. لكنهم - على العموم - أدركوا أنه من المستحيل الخروج للبحث عنه ؛ لأن هذا يعقد الأمور ، خاصة والعاصفة تزداد سوءًا إلى حد أنها كانت قريبة من تلك التى جلبتهم إلى هنا ..

إن عواصف المحيط الهادى تكون غاية فى الشراسة فى موسم الاعتدال الربيعى ، ولا توجد كلمات قادرة على وصف عنفها وهياجها .. وقد مر الليل والصخور ترتطم بالمأوى وتهزه هزًا ، لكن جدرانه كانت قوية من الجرانيت ، فبدا أنه لا خطر على النائمين به ..

قبل الصباح بساعتين أيقظ الصحفى (بنكروفت) وقال له :

- « هل تسمع ؟ »

- « ماذا ؟ صوت العاصفة ؟ »

- « بل نباح كلب ! هذا (توب) ! »

ونهض الجميع غير مصدقين ما يسمعون .. بالتأكيد هذا (توب) .. ومن الواضح أنه وحده ، وإلا لكان الزنجى قد أحضره إلى المأوى .. وهكذا غادروا كهفهم ووقفوا بالخارج ينظرون إلى الظلام الدامس . كان الأمر صعبًا جدًا أن تتماسك فى هذه العاصفة بالإضافة إلى أن الرؤية كانت مستحيلة .. لكنهم استطاعوا أن يروا الكلب الذى يركض نحوهم .. كان (توب) فعلاً .. لكنه كان وحيدًا ! ليس معه سيده ولا خادم سيده ..

بعد العناق والتحيات أدرك الرجال أن الكلب يريد منهم أن يتبعوه .. وقد فعلوا هذا دون إبطاء برغم أن العاصفة كانت فى ذروتها .. والحقيقة أن العاصفة كانت تهب باتجاه مسيرهم ، بمعنى أنها كانت تدفعهم دفعًا حثيثًا إلى الأمام ..

كانوا الآن يعتقدون أن (نيب) حى .. وقد أرسل الكلب ليجىء بهم .. لكن لماذا ؟ هل السيد معه أم أنه

يطلبهم كى يؤدوا آخر واجباتهم نحو المهندس المحبوب ؟

كان المد يرتفع ثانية .. بينما هم يتجهون إلى الشمال .. وجوارهم يرون مساحات شاسعة من الظلام لا يستطيعون تخمين كنهها .. كان البرد قارسًا مع ما يلبسون من ثياب غير كافية بالمرة .. ومن بعيد تتوهج الأمواج بضوء النهار القادم ..

استمر السعى وراء الكلب الذى كان يركض دون أن يقف لحظة ليتبين طريقه .. ودخل كهفًا فدخلوه وراءه ..

هناك وجدوا (نيب) راكعًا على الأرض .. وأمامه جسد يرقد على فراش من العشب .. كان هذا هو جسد الكابتن (هاردنج) ..

* * *

الفصل السادس

لم يتحرك (نيب) ، واكتفى (بنكروفت) بكلمة واحدة :

- « حى ؟ »

لم يرد (نيب) .. ومن الواضح أنه لم ير زملاءه أو يسمع البحار يسأله .. كان الحزن قد بدل ملامحه تمامًا حتى صار من العسير تمييزها .. وجثا (سبيلت) الصحفى جوار الكابتن الراقد ، ومزق قميصه كى يصغى لقلبه .. وبعد لحظات صاح :

- « إنه حى ! »

وهرع الصبى (هربرت) إلى الخارج بحثًا عن ماء ، وعاد بعد قليل بمنديل مبلل وضعوه على شفتى المهندس .. من الغريب أنه كان سليمًا ، وكان جسده خاليًا من الجراح ، ولكن التفسير قادم فيما بعد ، حين يقدر الرجل على الكلام ..

راح (نيب) يحكى لهم ما حدث .. لقد راح يفتش الشط، ولم يكن يأمل فى أن يجد سيده .. كان يبحث عن جثة .. جثة ودَّ لو يدفنها بيديه .. وهنا وجد آثار أقدام فوق علامة الماء .. أصابه الجنون حين رآها وتتبعها نحو ربع ميل .. وهنا وجد نفسه أمام الكلب (توب) .. (توب) الذى اقتاده إلى سيده، والذى حسبه ميتًا حين رآه ..

كان عليه أن يستدعى الآخرين إليه، وقرر أن يجرب غريزة الكلب التى لاتخطئ .. أشار له إلى الجنوب ولفظ اسم المراسل الصحفى مرارًا، وقد وصلت الرسالة إلى الكلب بالفعل ..

كان المهندس الآن يحرك شفتيه، برغم أن عينيه كانتا مغلقتين .. وبصعوبة قال أول ما يسمعونه منه :

- «جزيرة أم قارة ؟»

- «لا عليك من هذا .. المهم أن تعود لنا، وليكونن فى الوقت متسع لنعرف هذا».

من ثم عاد المهندس إلى النوم .. وكان عليهم الآن أن يصنعوا نقالة صغيرة يحملونه عليها إلى الكهف حيث النار .. وقد استغرق هذا منهم أربعين دقيقة من العمل المتواصل وباستخدام فروع الأشجار ..

وجلس المراسل الصحفى يحكى للمهندس كل ما حدث لهم من لحظة سقوط المنطاد .. هنا تساءل المهندس فى وهن :

- «إذن أنتم لم تلتقطونى من الشاطئ ؟»

- «كلا يا صديقى ..»

- «وكم يبعد هذا الكهف عن الشاطئ ؟»

- «نحو ميل ..»

- «هذا غريب ! غريب بحق ..»

ولم يكن لدى المهندس الكثير مما يحكيه .. لقد وجد نفسه وسط الأمواج العاتية والكلب فى حضنه، على بعد نصف ميل من الشط .. وقد راح يجاهد ويجالد، ولكن موجة عالية جعلته يغوص مع الكلب

ويغيب عن الوعى .. بعد هذا لا يعرف شيئًا غير أنه وجد نفسه هنا فى الكهف محاطًا بأصدقائه ..

- « لكن لابد أنك مشيت إلى هذا الكهف مادام (نيب) وجد آثار أقدامك .. »

قال المهندس لـ (بنكروفت) :

- « ياصديقى .. هلا أخذت هذا الحذاء من قدمى ، فمضيت به إلى أثر الأقدام ، لترى إن كان هو نفس الأثر ؟ »

نفّذ البحار طلب المهندس ، وغادر المكان .. بعد دقائق عاد ومعه الدليل الأكيد .. لاشك فى أن هذين هما أثرا حذائى (هاردنج) .. لاشك فى أنه هو من جاء إلى هذا الكهف على قدميه ..

- « الأمر واضح .. لابد أننى مررت بحالة من فقدان الوعى كالتى يمر بها الماشون فى أثناء النوم .. ولابد أن الكلب (توب) هو من جلبنى إلى هنا .. هلم أيها الكلب العجوز ! »

وتعاون الأصدقاء على حمل المهندس على المحفة ثم مضوا إلى مأواهم .. لما كانوا مضطرين إلى المشى البطىء ، فقد استغرق الأمر نحو ثلاث ساعات للوصول إلى هناك ، وكانت العاصفة قد هدأت ..

لكن مفاجأة قاسية كانت تنتظرهم حين بلغوا مأواهم .. لقد ولت النار ! لقد دخلت الأمواج المأوى وغيرت معالم كل شىء ، ثم رحلت حاملة الحطب والنار وكل شىء !

* * *

الفصل السابع

برغم كل شىء فإن المحرر الصحفى لم يشعر بقلق .. أليس (هاردنج) معهم ؟ ببراعته وكل العلم فى عقله ؟ إنه يستطيع تحقيق أى شىء ، ومن الأضمن أن يكون (هاردنج) معك فى صحراء قاحلة من أن تكون من دونه فى أكثر مدن الولايات المتحدة تمدينًا .. حتى لو قلت لهم إن بركانًا سيدمر الجزيرة حالاً ، لقالوا لك : (هاردنج) هنا !

وراح (بنكروفت) مع (نيب) يجربان إشعال النار بحك قطعتين من الخشب بسرعة .. لكنهما لم يصلا إلى نتيجة إلا تسخين الخشب قليلاً ، ولو أن الطاقة المنبعثة منهما تحولت إلى حرارة لاستطاعت تسخين غلاية قطار ! فى النهاية توقف (بنكروفت) وقال :

ـ لا أفهم كيف يشعل المتوحشون النار بهذه الطريقة ؟ دعهم يزعمون ما يزعمون ! أما أنا فلا أصدق

هذا إلا لو صدقت أننى قادر على إشعال النار بفرك ذراعىَّ .. »

ولم يجد الأصدقاء سوى النوم حتى الصباح ..

فى الصباح صحا الكابتن (هاردنج) منتعشًا فتناول إفطارًا من المحار قدمه له الصبى ، وجرع بعض الماء ، ثم سألهم عن النار .. فحكى له (بنكروفت) قصتهم مع عود الثقاب الوحيد ، وكيف فقدوا نارهم ..

قال المهندس فى ثقة :

ـ « سنصنع نارًا .. سنصنع أعواد ثقاب ! ولكن هل عرفتم هل هذه جزيرة أم قارة ؟ »

ـ « لم نعرف بعد .. لكننا سنعرف سريعًا .. »

ـ « إذن ما من شىء يمكن عمله اليوم .. غدًا نتسلق الهضبة لنعرف أين نحن بالضبط .. »

عاد البحار يقول فى عناد :

ـ « نريد نارًا .. »

لم يبد المهندس مهتمًا وقال :

- « إن موقفنا يا أصدقائى صعب لكنه البساطة ذاتها .. لو كانت هذه قارة فلسوف نبذل كل جهد كى نجد سكانها .. أما إن كانت جزيرة فإما أن تكون مأهولة ، وعندها يمكننا مغادرتها بمعونة السكان ، أو صحراوية وعندها يجب أن نغادرها بجهدنا الذاتى .. سنصعد الهضبة غدًا لنعرف .. لكنى أعتمد على براعتكم فى الصيد حتى أسترد قواى .. »

قال له (بنكروفت) نافد الصبر :

- « يمكننى أن أصطاد مستريح البال لو عرفت أن ما أصطاده يمكن شواؤه .. »

- « لا تقلق بصدد هذا يا صديقى .. »

وهكذا مضى الزنجى والبحار والصبى إلى الغابة ليصطادوا كل كائن حى مغطى بالريش أو الفراء .. وفى البداية وجدوا بعض الأخشاب مكومة فتساءل البحار :

- « هل تبدعون اليوم بأن تكونوا حطابين أم صيادين ؟ »

- « حطابين .. إن الكلب (توب) قد سبقنا على كل حال .. »

وسمعوا عواء الكلب ، فهرعوا ليجدوه ممسكا بأذن حيوان غريب ، هو أقرب إلى فأر كبير ، وإن كان فى حجم الخنزير ، وبين أصابع قدميه غشاء . أخبرهم الصبى أن هذا هو حيوان الكابيبارا Capybara وهو من البرمائيات الأليفة ، وسرعان ما تمكنوا من صيده والعودة به إلى مأواهم ..

وأدهشهم حين وصلوا إلى هناك أن رأوا الدخان يتصاعد من مداخن الصخور ..

كانت النار تتوهج بالفعل بالداخل ، بينما جلس المحرر والمهندس جوارها .. كانت الشمس هى مصدر هذه النار .. وتساءل الصبى (هربرت) :

- « هل معكما عدسة ؟ »



وسمعوا عواء الكلب ، فهرعوا ليجدوه ممسكا بأذن حيوان غريب ، هو أقرب إلى فأر كبير ، وإن كان فى حجم الخنزير ..

لكن لم تكن هناك عدسات .. لقد قام المهندس البارع باستخدام زجاج ساعته المحدب ، وساعة المحرر ، وملأهما بالماء ، ثم لحم نصفى الزجاج باستعمال الصلصال ، وهكذا صارت لديه عدسة محدبة قوية يمكنها تركيز أشعة الشمس على الحطب وإشعاله ..

وكانت نظرة (بنكروفت) إلى المهندس تغنى عن أى كلام .. لو لم يكن هذا الرجل ساحرًا فهو على الأقل رجل فريد حقًا .. وكانت وجبة شهية سرعان ما أخلدوا بعدها لنوم عميق هانئ ..

وفى الصباح الباكر بدأ الرجال تلك الحملة الاستكشافية التى ستحدد مصيرهم ، وتجيب عن السؤال الشهير : قارة أم جزيرة ؟

مشوا كثيرًا متجهين إلى الهضبة التى لمحوها أمس .. وكان المهندس مشغول الذهن تمامًا يفكر فى الخطوات التالية .. وقد أدرك على الفور أن هذه الجزيرة بركانية .. كما ضايقه أن وجد على التراب آثار أقدام حيوانات ضخمة ..

بدءوا تسلق الهضبة ، وقد استغرق هذا وقتًا طويلاً حقًا ، حتى إن المساء جاء وهم لم يبلغوا القمة ، وقرروا أن يتخذوا معسكرهم هنا .. لكن المهندس كان قد أدرك الحقيقة : هذه جزيرة ! كما أدرك أن مايتسلقونه هو جسم بركان عظيم خامد منذ زمن ..

وفى الصباح تسلق الأصدقاء إلى القمة ووقفوا للمرة الأولى فى أعلى نقطة بالجزيرة .. الماء ! الماء من حولنا فى كل مكانٍ ! حتى (بنكروفت) بعينى البحار الحادتين لم ير شيئًا إلا الماء فى الأفق .. وقد أدركوا الآن أنها لا يمكن إلا أن تكون جزيرة .. جزيرة محيطها لا يقل عن مائة ميل .. ولها شكل التمساح الذى ينفتح شدقاه شمالاً ، بينما يتجه ذيله العملاق إلى الجنوب ..

كانوا واقفين على فوهة البركان ، وفوق الحمم التى جفت منذ قرون وصنعت مايشبه سلمًا للمشى عليه .. وكان بوسعهم أن يروا بحيرة صغيرة عن بعد تحيط بها أشجار نضرة .. وقد قدر المهندس

أنها ليست بحيرة ، بل هى نهر يغتذى من المياه التى تجىء من المنحدرات إليه ، وبالتأكيد يغادره الماء إلى البحر من فتحة ما ..

لقد صارت الجزيرة مكشوفة الآن أمامهم بوضوح تام كأنها خارطة .. لكن السؤال الذى ظل يلح عليهم هو : هل الجزيرة مأهولة ؟ وكان الصحفى أقربهم إلى استنتاج أنه طبقًا لما رأوه فالإجابة لابد بالنفى .. لكن هل يؤمها سكان الجزر المأهولة المجاورة ؟ لا يمكن الإجابة عن سؤال كهذا ؛ لأن البحر خاو لمسافة خمسين ميلاً ، لكن خمسين ميلاً ليست مسافة شاسعة بالنسبة للقوارب ..

ترى هل يستطيع (هاردنج) معرفة أى خط طول وأى خط عرض هذا من دون أدوات ؟

لقد فرغوا على كل حال من فهم الجزيرة بشكل عام ، ولم يعد عليهم إلا الهبوط واستكشافها من وجهة نظر ثلاثية : تربتها ـ حيواناتها ـ نباتها .. وقال (هاردنج) :

- «على هذه الجزيرة وضعتنا يد الله العلى القدير .. ولسوف نعيش هنا .. لا أدرى إن كانت سفينة ستمر أم لا ، لكنى أرجح أننا فى وضع جنوبى أكثر مما يجب بالنسبة لسفينة ذاهبة إلى (نيوزيلندا) ، وشمالى أكثر مما يجب بالنسبة لسفينة تقصد أستراليا .. »

قال (بنكروفت) :

- « أنا معك يا سيدى وإننى لأثق بك .. وبمشيئة الله سنصنع من هذه الأرض ولايات متحدة جديدة ! سننشئ طرقًا وسككًا حديدية وخطوط برق ! ثم نقدمها هدية لحكومة الاتحاد يوم يجدون مكاننا ! »

وكان أن اقترح المهندس أن يطلقوا أسماء على الموجودات .. وهكذا صارت الجزيرة هى جزيرة (لنكولن) - بطل الاتحاد - والجبل جبل (فرانكلين) والخليج خليج الاتحاد .. وهكذا تعددت الأسماء ، ومعها صارت معالم الجزيرة أقرب ألفة إلى نفوسهم ..

* * *

الفصل الثامن

بدءوا الآن فى الهبوط .. مشوا بين الصخور عائدين ، وقد استطاعوا أن يروا الكثير من الماعز البرى التى أطلق عليها الصبى اسمًا ما ، لكن البحار قال له :

- « أليست لها قرون وحوافر ؟ إذن هى خراف بالنسبة لى بصرف النظر عن اسمها الحقيقى .. ! »

ولابد أن الساعة الآن كانت العاشرة صباحًا حين تصلب الصبى (هربرت) وهمس :

- « دخان !! »

- « بشر ؟ »

وأشار إلى اتجاه الجنوب .. وحقًا كان ما رأوه هو دخان أصفر غريب يرتفع من بين الصخور .. هتف المراسل (سبيليت) :

ـ « هذا غريب .. خذ الحذر حتى لا يرونا .. لماذا لاينبح الكلب إذن ؟ »

ـ « لا أدرى .. هذا غريب .. »

لكن المهندس كان قد شم رائحة الدخان المنفرة وعرف مصدرها .. فقال لرفاقه :

ـ « هذا البخار من الكبريت .. وهو قادر على شفاء حلوقنا للأبد ! »

وأخيرًا وجدوا المصدر .. الينبوع الذى ينبعث منه حمض الكبريتيك فى الهواء .. ومد (هاردنج) إصبعًا فى الينبوع فأحس للسائل قوامًا كالزيت ، وقدر حرارته بـ 95 فهرنهايت .. سأله المحرر عن الكيفية التى قدر بها الحرارة ، فقال :

ـ «لم أشعر بحرارة أو سخونة .. إن حرارته هى حرارة الجسم ذاتها التى تساوى 95 فهرنهايت(*) .. »

(*) للتحويل إلى درجاتنا المئوية اطرح 32 ، ثم اضرب الناتج فى خمسة على تسعة .. سيكون الناتج 35 وهو أقل من حرارة الجسم البشرى ، لكن الكلام تقريبى طبعًا ..

تركوا الينبوع وواصلوا الرحلة .. هذه المرة رأوا حيوانات غريبة تثب على ساقين خلفيتين .. وعلى الفور عرف الصحفى أن هذه كانجارو .. سأله البحار الشره عن مذاقها ، فقال له : إن لحمها شهى كلحم الظباء ..

عبثًا حاول الملاح اللحاق بهذه الحيوانات الرشيقة لكنها كانت تثب كالكرة مبتعدة فى الأفق .. وقد تلاحقت أنفاسه ، وهو يلهث محاولاً التماسك .. فى النهاية وعده المهندس بأن يحاولوا صنع بعض القسى والسهام ..

ـ « قسى وسهام ؟ هذه الأشياء للأطفال ! »

ـ « لا تتفاخر يا (بنكروفت) .. أسلحة الأطفال هذه قد لوثت الأرض بالدم طيلة تاريخها .. بينما الأسلحة النارية وليدة الأمس فقط ! »

أما عن المدى فقد صنعها المهندس بسهولة .. حطم الطوق المعدنى المحيط بعنق الكلب ، فصارت عنده مديتان بعد ما ثبت القطعتين إلى مقبضين

مناسبين .. الحقيقة أن هذه المجموعة من الرجال كانت موفقة ، وكانت تملك كل أسباب البقاء على هذه الجزيرة .. ثم إنهم اكتشفوا شجرة (كريجمبا) التى لاتؤكل ثمارها ، ويصنع هنود أمريكا الجنوبية أقواسهم من لحائها .. ثم وجدوا نبات (هبسكس هتروفيلوس) الذى يصلح لصنع أوتار الأقواس .. وهو مرن متماسك كأنه أوتار عضلات الحيوانات .. أما السهام فقد حصلوا عليها من قنفذ اصطادوه ..

اصطادوا الكثير جدًا بعدما برع (بنكروفت) فى استعمال القوس والسهم .. وإن لم يقابلوا بعد تلك الحيوانات الضخمة التى طالما رأوا آثار أقدامها ..

مر عليهم الآن اثنا عشر يومًا على هذه الجزيرة لكنهم أنجزوا الكثير .. لقد قام المهندس بصنع قوالب قرميد من الصلصال الموجود بالجزيرة ، وتمكن من صنع فرن بدائى يصلح لطهى الطعام ، كما يصلح لصنع مختلف الآنية من الخزف ، التى كانوا فى أمس الحاجة لها ..كما تمكن المهندس البارع من الحصول

على وقود سريع الاشتعال من فطر ينمو فى الجزيرة هو (الكشوث الرومى) .. وكان عندما يجف ويخلط ببعض البوتاس ـ المتوافر بكثرة فى حفر الجزيرة ـ يصلح لإشعال الموقد كأكفأ ما يكون ..

أما المشروع الأكثر طموحًا فقد كان أن يصنع آلة سدس يتمكن بها من معرفة إحداثيات الجزيرة بالضبط ، اعتمادًا على النجم القطبى والشمس .. وكانت هذه خطوة مهمة كى يعرف أين هم بالضبط من سواحل أستراليا أو أمريكا ، وبالتالى هل يفيدهم أن يحاولوا صنع قارب أم لا ؟ وقد استطاع على الأقل أن يستنتج أن الجزيرة تبعد ألفين أو ثلاثة آلاف ميل عن (نيوزيلندا) (*) ..

هكذا قرروا أن عليهم أن يمضوا الشتاء هنا قبل أن يفكروا فى صنع قارب .. وطلب المهندس من

(*) للأمانة : اضطررت إلى اختصار جزء كبير جدًا هنا ، لأن (فيرن) يتحدث بالتفصيل وبدقته المعهودة عن طرق قياس السمت والإحداثيات ، وطرق صناعة الخزف ، وصهر الحديد ، وما إلى ذلك مما لا دخل له فى سياق الأحداث .. ولو ترجمت هذا الجزء بأمانة لكان حجم هذا الكتيب خمسمائة صفحة على الأقل !

رفاقه أن يتعاونوا لصنع مسكن أكثر راحة وأمنًا .. من الواضح أن هناك حيوانات ضخمة فى الجزيرة .. كما أن هذه الأصقاع لاتفتقر لقراصنة الملايو المتوحشين الذين لايهابون البحر .. على الأقل سيريحهم هذا من عبء ترتيب نوبتجيات حراسة ، والسهر على النار ليلا ..

قال البحار :

ـ « ليكن .. سنحمى أنفسنا من الوحوش التى تمشى على قدمين والتى تمشى على أربع .. ونحن لا نفتقر إلى القرميد ومعدات البناء الآن .. »

ـ « جميل يا صديقى .. لكن لو استطعنا نحت منزل فى مأوى طبيعى لوفر هذا علينا كثيرًا من الجهد .. بالإضافة إلى أنه سيكون بقوة الطبيعة العاتية .. »

لكن البحث عن مسكن يصلح وسط هذه الصخور الجرانيتية كان شبه مستحيل .. الحقيقة أنهم كانوا يسكنون بالفعل المكان الوحيد المناسب للسكنى ، الذى يرغبون الآن فى تركه إلى مكان أكثر أمنا ..

كانوا يتفقدون الجزيرة على ضفاف البحيرة .. والفكرة هنا أنهم أرادوا أن يكون مسكنهم قريبًا من الماء النقى .. فجأة تصلب الكلب (توب) ، وراح ينبح ، وينظر إلى البحيرة فى توتر .. لم يعره أحد اهتمامًا أول الأمر ، مما دعاه إلى الدنو من الماء وهو ينبح ويشير إلى الماء بمخالبه ..

ـ « تعال هنا يا (توب) .. »

قالها المهندس الذى لم يحب كثيرًا أن يتوغل كلبه قرب الماء ..

ـ « هل هو تمساح ؟ »

ـ « لا أظن .. التماسيح لاتعيش على هذا الارتفاع عن سطح البحر .. »

ولم يكف الكلب عن التوتر .. بدا كأنما يلاحق بإصرار هدفًا تحت سطح الماء .. ولم يستطع الرجال برغم كل محاولاتهم معرفة مايثير حفيظته وتوتره ..

هنا وثب الكلب إلى الماء ، وعلى الفور برز رأس عملاق من الماء .. كان عجلاً بحريًا ضخما أمسك بالكلب قبل أن يتمكن من الفرار ونزل به تحت الماء .. لم يتمكن الرجال من عمل شىء .. وأدركوا أن معركة مريعة تدور تحت البحيرة الآن .. كان الماء يفور بعنف ويتناثر فى كل صوب ..

ثم فجأة ـ بمعجزة ما ـ طار جسد الكلب فى الهواء خارج الماء ، وسرعان ما استعاد روعه وسبح إلى الشط ، ومن الغريب أنه لم يصب بأى جرح .. ثم رأى الرجال لدهشتهم أن المعركة ما زالت مستمرة تحت الماء . وسرعان ما تلون الماء بلون الدم .. ثم طفا جسد عجل البحر العملاق الميت إلى الشاطئ ، وفى عنقه جرح مخيف يبدو أن حيوانًا أقوى أحدثه ..

ترى أى حيوان استطاع قتل عجل البحر بهذه البساطة والشراسة ؟ لم يستطع (هاردنج) ورفاقه التخمين ، وهكذا قرروا العودة إلى مأواهم ..

* * *

الفصل التاسع

فى الصباح وقف المهندس يرمق مياه البحيرة وعقله مشغول بحادث أمس .. كان من الواضح أن البحيرة ضحلة لكنها عميقة فى وسطها .. وكانت الطيور الجارحة قد أتت على أكثر لحم عجل البحر ، لكنه أمر الزنجى (نيب) بأن يستنقذ بعض الدهن لإشعال النار .. ودنا منه المراسل الصحفى ليسأله :

ـ « أنا موافق على أن ما حدث أمس كان غريبًا .. كيف قذف الكلب خارج الماء بهذه البساطة ؟ »

قال المهندس :

ـ « هذا لغز .. لكن هناك لغزًا آخر .. كيف نجوت أنا من الغرق وحملت إلى هذا المخبأ الذى وجدتمونى فيه ؟ لكن دعنا لا ننثر ذعر الآخرين بهذه الخواطر الآن ، ولنبقها لأنفسنا .. »

كانت مشكلة المجموعة الآن هى العثور على مسكن أكثر اتساعًا ، وقد نجحوا بمعونة قائدهم الهمام فى العثور على كهف من الجرانيت يتصل بالبحيرة .. وهو كهف مناسب من جميع الوجوه ، بل يصلح لتقسيمه إلى حجرات بالقرميد ..

وقد استطاع الرجال تنظيفه ، وميزوا واجهته .. وبالتالى حفروا فيها بعض النوافذ العالية التى تسمح بدخول الهواء والضوء ، كما جعلوا مدخل الكهف فى مكان مرتفع يتم الدخول إليه والخروج منه بسلم من حبال مجدولة .. والغرض كان المزيد من الأمن ؛ لأن المحيط الهادى مكان خطر وهم لا يعرفون ما يأتى به البحر ، بل هم - على كل حال - لم يفرغوا من استكشاف الجزيرة ، ولا يعرفون بحق إن كانت مأهولة أم لا ..

حقًا كان عليهم الإسراع فى كل شىء ، وفى اختزان المؤن لأن الشتاء قادم .. وهو هنا يأتى فى (يونيو) الذى يماثل ديسمبر فى نصف الكرة الشمالى ..

وحين جاء الشتاء عرف الرجال المتوارون فى بيت الجرانيت أهمية ما قاموا به ، لأن المأوى القديم ما كان ليتحمل هذا الطقس الشنيع .. خاصة أنه قد برهن على أن الأمواج والعواصف تدخله بحرية ..

وقد قضوا الوقت فى نشاطات متعددة .. لكن مشكلة الثياب بدأت تظهر بقسوة .. فلم يكن لديهم إلا الثياب التى هربوا بها من الأسر ، وكانت بحالة ممتازة لكن البرد كان قارسًا .. ولم يجد المهندس حلاً فى الوقت الحالى .. لابد من انتظار انتهاء الشتاء ، وبعدها يمكنهم أن يصطادوا بعض الخراف ومن صوفها يصنعون ثيابًا جديدة ..

وقال المهندس : إنه يرجو - بما أن هذه جزيرة - أن يكون الشتاء متوسط البرودة ..

- « لأن البحر يعمل كمخزن حرارة هائل .. إنه يختزن الحرارة طيلة الصيف ثم يشعها فى الشتاء ، لهذا يكون شتاء الجزر أقل بردًا ، والصيف أقل حرًا .. »

قال المحرر (سبيلت) :

ـ « لا يهمنى الآن إلا أن الليل صار طويلاً .. أرى أن نفكر فى موضوع الإنارة .. »

ـ « سيكون هذا غدًا بعد ما نصيد كلب بحر .. سنصنع بعض الشموع من دهنه .. »

وبالفعل فى اليوم التالى خرج (بنكروفت) والصبى إلى الشط ، وتمكنا من قتل أربعة كلاب بحر ، قاما بسلخها وحمَلا الدهن إلى المأوى .. كانت النتيجة أربعمائة رطل من الدهن جاهزة لصنع الشموع .. وقد تمكن المهندس من فصل حمض الستياريك والأوليك بمعالجة الدهن بالجير ، ثم صنع فتائل الشموع من ألياف النباتات .. وكانت النتيجة شموعًا لا بأس بها برغم أن منظرها بدائى .. أما عن الطعام فقد اعتمدوا على مخزون هائل من اللحوم المملحة ..

كان البرد عنيفًا ، وقد أبدى (بنكروفت) حزنه لأن الجزيرة لا تعج بالدببة التى يصلح فراؤها للتدفئة .. ضحك (نيب) وقال :

ـ « ربما لن تقبل الدببة هذا .. الدببة ليست القديس (مارتين) كما تعلم .. »

ـ « سنجبرها على ذلك يا (نيب) .. سنجبرها على ذلك .. »

أما عن القنص ، فقد نصبوا عددًا من الشراك التى تتكون من حبال تضيق حول فرائسها .. وقد اختاروا لها الأماكن التى تزدحم فيها أقدام الحيوانات .. لكنها لم تقتنص إلا ثعالب وهى غير صالحة لشىء على الإطلاق ، إلا أن المهندس وجدها مناسبة كطعم لحيوانات أخرى ..

وفى منتصف أغسطس تغطت الجزيرة كلها بطبقة من الجليد الأبيض ، ولكم شعر هؤلاء القوم بالسعادة ، لأنهم اتخذوا بيتهم فى هذا الكهف الحصين الذى حفرته الطبيعة .. فما كان أى بيت يبنونه ليصمد أمام العواصف الثلجية التى تجتاح الجزيرة ..

وعاد (بنكروفت) يومًا إلى حصن الجرانيت حاملا معه حيوانًا وطفليه الرضيعين .. وقال بحماسة : إن

العشاء اليوم سيكون رائعًا .. لم يبد الصحفى متحمسًا لهذا النوع من العشاء ، وقال : إنه لن يأكل الكثير منه .. هنا هتف (بنكروفت) الذى كان يكره أن يتهكم أحد على قنصه :

ـ « هذا الحيوان سيكون شهيًّا طريًّا .. منذ أشهر كنت أنت ستطير فرحًا لو وجدت قنصًا كهذا .. »

قال الصحفى من دون حماسة :

ـ « أنت تعرف أن الإنسان عسير الإرضاء ملول .. »

لكن البحار قام بشى الحيوانات الثلاثة وجلس يلتهم أصغرها بشهية عظيمة .. فجأة أصدر صرخة ألم وتحسس فمه وقال فى حسرة :

ـ « لقد كسرت سنًّا ! »

ـ « كل هذا من حيوانك الطرى هذا .. أتراك وجدت حصوة فى لحمه ؟ »

ـ « ليست حصوة .. ولكن .. »

وأخرج الطعام من فمه ليتفحصه .. لم يكن ما كسر سنه حصوة ، ولكن كان رصاصة بندقية ..

* * *

الجزء الثانى : منبوذون

الفصل الأول

سبعة أشهر مرت على هؤلاء منذ سقط بهم المنطاد فى هذه الجزيرة ، وطيلة هذه الفترة لم يروا أى دليل على وجود بشرى .. لا آثار نار ولا أدوات صنعها بشرى ولا دخان .. حتى افترضوا أن الجزيرة ليس عليها سواهم ، والآن عليهم أن يهدموا كل هذه الافتراضات بمجرد طلقة معدنية فى جسد حيوان مسالم !

كان المهندس أكثرهم منطقية فقد تأمل الطلقة ، ثم سأل البحار :

ـ « هل أنت متأكد من أن عمر هذا الحيوان لا يزيد على ثلاثة أشهر ؟ »

ـ « بالتأكيد .. لقد كان يرضع من أمه .. »

ـ « إذن هناك من أطلق الرصاص فى جزيرة (لنكولن)

خلال الأشهر الثلاثة الماضية .. شخص كان فى الجزيرة لدى وصولنا أو وصل بعدنا .. وإن كنت أميل إلى أنه حديث الوصول وإلا لرأيناه أو رآنا من قبل .. لكن من هو ؟ هل ألقى به الحطام هنا ؟ هل هو أوروبى أم من قراصنة الملايو ؟ هل هو صديق أم عدو ؟ »

صاح (بنكروفت) :

ـ « مستحيل أن يكون هناك بشر غيرنا .. جزيرة صغيرة كهذه ونحن هنا منذ سبعة أشهر .. لا بد أننا وحيدون تمامًا .. »

ـ « سيكون غريبًا كذلك أن يكون هذا الحيوان قد ولد بطلقة رصاص فى بطنه ! »

انتهى العشاء فى جو أقل بهجة مما توقع البحار ، وقرر الرجال أن يبدءوا فى الغد بناء قارب صغير من نوع الكانو .. كى يكون معهم فى حالة اضطرارهم للدوران حول الجزيرة ، أو الهرب فى البحيرة لسبب أو آخر .. كما نصحهم المهندس بعدم الابتعاد عن المأوى ..


لكن الصبى طلب منه أن يحذو حذوه ، وتعاون الاثنان حتى قلبا السلحفاة على ظهرها ..

بعد يومين وقع حادث مريب آخر .. كان الصبى و(نيب) يمشيان عند الطرف الآخر من الجزيرة ، حين رأيا سلحفاة عملاقة تزحف هناك .. وأدرك أنها فرصة لا تفوت خاصة بالنسبة لـ (بنكروفت) الشره الذى سيرحب حتمًا بهذا اللحم الوفير .. ولم يعرف الزنجى ما ينبغى عمله ، لكن الصبى طلب منه أن يحذو حذوه ، وتعاون الاثنان حتى قلبا السلحفاة على ظهرها .. وهالهما كم هى ثقيلة ..

ـ « لن نتمكن من الحراك إلى أن نعود بشىء ننقلها عليه .. »

وكانت السلحفاة قد توارت فى درقتها ، لكنها كانت عاجزة عن تصحيح وضعها ، وبرغم هذا قام الزنجى بتدعيم جوانبها بالحجارة كى لا تنقلب .. وهرع الاثنان إلى المأوى كى يجلبا عربة يحملان عليها الصيد الثمين ..

بعد ساعتين عادا إلى البقعة بالعربة ، لكن السلحفاة لم تكن هناك ! نظرا إلى الحجارة المتناثرة على الأرض فى عدم فهم ، وقال الزنجى :

ـ « معنى هذا أن السلاحف تقلب نفسها .. »

ـ « هذا ما يمكن استنتاجه .. »

وعاد الاثنان خائبى الأمل إلى المعسكر ، وقد خطر للزنجى ألا يخبر أحدًا بما حدث ، لكن الصبى رأى أهمية إبلاغ (هاردنج) .. واستمع (بنكروفت) المغتاظ إلى القصة ، فلما انتهت صاح غاضبًا :

ـ « أحمقان ! تركتما خمسين وجبة تفر منا ! »

قال (نيب) :

ـ «لم نقصد هذا ، وقد دعمناها بالحجارة جيدًا .. »

ـ « ليس بما يكفى بالتأكيد !! اهتم (هاردنج) بالأمر فسأل الصبى :

ـ « هل كان المكان الذى تركتما السلحفاة فيه قريبًا من حركة المد ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « إذن كان المد هو ما غمر السلحفاة وجعل من

السهل عليها أن تنقلب لوضعها الطبيعى ، وسرعان ما فرت فى البحر .. »

هتف الزنجى :

ـ « رباه ! لقد كنا غبيين بحق ! »

قال (بنكروفت) :

ـ « هذا هو ما تفضلت أنا بقوله منذ ثوان ! »

لقد قدم الكابتن هذا التفسير الذى يبدو مقنعًا ، والذى أراح الآخرين .. ولكن هل كان مقتنعًا به هو نفسه ؟ لا يمكننا أن نعرف على وجه اليقين ..

* * *

فى اليوم التالى لاحظ الكابتن أن هناك شيئًا ما جوار الشاطئ ، وقد هرع الرجال إلى هناك ليروا .. كان هناك برميلان ، وقد أغرى هذا (بنكروفت) بالاعتقاد بأنهما مليئان بشىء ما .. شىء مفيد غالبًا .. لكنهم حين اقتربوا من البرميلين اللذين ألقى بهما الموج ،

أدركو أنهما فارغـان ومغلقـان بعنايـة ليكونـا أداة طفو .. بينما هما يتمسكان بطوف صغير وقد ربطت إليه حقيبة .. تعاونوا على حمل الحقيبة إلى مأواهم وهناك هشموا القفل ..

كانت الحقيبة تحوى كل ما يمكن أن يحلموا به .. كـانت هنـاك معدات مـن كـل الأنـواع .. كماشـات .. مسامير .. مناشير .. مطـارق .. بندقيتـان مـن نـوع (القرابينـة) .. حتـى الكتـب كـانت موجـودة ومنهـا الإنجيل وبعض الموسوعات الجغرافية ، وموسوعات عن الحيوانات فى جزر المحيط الهادى ..

كانت المفاجآت سارة لكنهـا بـلا تفسير واضـح ، وقـد رأى الكابتن أن هـذه الأشياء فى الغـالب حملهـا رجل غرقت سفينته قـرب السـاحل ، وتـزود بكـل ما يمكن أن يحتـاج إليـه المرء فـى جزيرة كهذه .. لكن أين ذهب هذا الرجل الآن ؟ ترى هل مات ؟

علـى كـل حـال تغيرت حيـاتهم جذريًـا بعـد هـذا الاكتشـاف ، وكانوا من قبـل يعتمدون على أنفسـهم

لصناعة كل ما يريدون من معدات ، أما الآن فقد غدت الحياة أسهل بالتأكيد .. وتمنى (بنكروفت) لـو كـان فى الحقيبة بعض الطبـاق فقد كـان فـى أمس حاجـة إلى التدخين ..

قال لهم الكابتن بطريقته المنطقية :

ـ « يمكننا الآن التأكد من الحقيقة الوحيدة المؤكـدة .. هنـاك سفينة بلغت جزيـرة (لنكولـن) فـى الأشــهر الثلاثة السابقة .. كما يمكننا التـأكد مـن أنهـا رحلت كذلك ، ما دمنا لم نر بشريًا على الجزيرة .. »

هتف (بنكروفت) :

ـ « تعنى يا كـابتن أنهـا رحلـت وأن فرصتنـا فـى العودة للمدنية رحلت معها ؟ »

ـ « أخشى ذلك للأسف .. »

قال البحار فى ضيق :

ـ « ليكن .. سنظل هنا إلى الأبد .. »

وقرر الرجال أن يواصلوا استكشاف الساحل الغربـى للجزيـرة الواسـعة ، وقـد قـرروا أن يدوروا حـولهـا

باستعمال القارب الجديد الذى فرغ (بنكروفت) من صنعه ، وقد استخدم فيه الحبال والخشب ، ليصنع قاربًا صغيرًا ضيقًا به مقعدان فى المنتصف .. وهو يصلح بالطبع للملاحة فى بحيرات وأنهار الجزيرة لكنه لايصلح للبحر .. وفى البداية لاحظوا أن الماء يتسرب إلى داخله من بين فجوات الخشب ، لكن البحار أكد لهم أن الخشب ينتفخ مع الوقت ، ولن يكون هناك ماء فى القارب بعد قليل ..

كانت رحلة طويلة استغرقت ساعات ، ولم يروا فيها جديدًا سوى أن الجهة الغربية عامرة بالقردة .. وأن هناك الكثير من النباتات التى يستخدمها البدائيون فى علاج الملاريا ..

فى النهاية أعلن الكابتن أن الوقت حان للعودة إلى ملجئهم .. وبالفعل وصلوا إليه عند العصر ، وتأهب الزنجى والصبى لتسلق سلم الحبال .. هنا أدركوا شيئًا غريبًا ..

السلم لم يعد هناك !

* * *

الفصل الثانى

لم يكن من الممكن الظن أن الريح أطارت السلم ، وقد راح (بنكروفت) ينظر إلى المشهد وهتف :

ـ « يا لها من دعابة سخيفة ! حرمان الرجال المرهقين من المأوى ! لقد بدأت أعتقد أن هناك شيئًا غريبًا يحدث فى جزيرة (لنكولن) .. »

قال (سبيلت) الصحفى :

ـ « بالعكس يا (بنكروفت) .. ما من شىء أكثر طبيعية من هذا .. أحدهم استغل غيابنا واستولى على مسكننا ورفع السلم ! »

رفع البحار عقيرته وصاح بأعلى صوت تردد صداه فى الجزيرة كلها :

ـ « هالووووووو ! »

لكن أحدًا لم يرد ، وخيل للأصدقاء للحظة أنهم

سمعوا ضحكة مكتومة من مكان ما .. وهكذا ظلوا واقفين لا يعرفون ما يفعلون ولا كيف يفكرون .. وفى النهاية قال (هاردنج) :

ـ « أرى أن ما بوسعنا اليوم هو شىء واحد .. نعود إلى مأوانا القديم .. على الأقل يمكننا هناك أن ننام قليلاً ، وفى الصباح نرى ما يجب عمله .. »

وقضى أصدقاؤنا ليلة سيئة يحاولون فيها الظفر ببعض النوم دون جدوى .. الحقيقة أن منزل الجرانيت الذى طردوا منه لم يكن بيتهم فحسب ، بل كان مخزنهم وورشتهم ، وكان فيه كل ما يحتاجون إليه من مؤن وأدوات .. ومن دونه سيكون عليهم البدء من الصفر ..

ومع أول ضوء من الفجر عاد الأصدقاء إلى بيت الجرانيت .. وإذ نظروا إليه أدركوا أن الباب مفتوح .. فندت عنهم صرخة دهشة ؛ لأنهم كانوا قد أوصدوه بعناية قبل رحيلهم أمس ، فلم يعد من شك الآن فى وجود معتدين .. لقد تلاشت فكرة الريح تمامًا .. كما

كان سلم الحبال مطويًا إلى أعلى كأن من استولى على المنزل كان يحاول توقى المفاجآت .. وصاح (بنكروفت) فى غيظ :

ـ « الشحاذون ينامون منعمين كأنهم فى دارهم ! هلموا ردوا على أيها المتسولون يا قطاع الطرق .. أيها اللصوص يا أولاد (جون بول) !! »

وكانت سبة (ابن جون بول) هى قمة السباب عند الرجل ؛ لأنه كان يكره الإنجليز بشدة ..

خطرت للصبى (هربرت) فكرة لا بأس بها ، هى أن يربطوا حبلاً إلى سهم يطلقونه إلى السلم ، ومن ثم يمكنهم أن يجذبوه إليهم ويتسلقوا عليه .. وبالفعل انتقى (بنكروفت) سهمًا لا بأس به ، وأطلقه .. وانعقد حبلهم بحبال السلم ، لكن ما إن تأهب الصبى لجذب السلم ، حتى برزت ذراع من الفتحة العليا وجذبت السلم إلى الداخل بعد ما حررته من الحبل ، وصاح (بنكروفت) فى غيظ :

ـ « أيها الأوغاد ! »

سأله (نيب) :

ـ « عمن تتكلم ؟ هل رأيت أحدًا ؟ »

ـ « ألم تره ؟ إنه قرد ! بابون .. أورانج أوتان .. غوريلا .. لقد وجدت القرود مأوانا واستطاعت أن تحتله وتشد السلم ! »

وكأنما يبرهنون على كلامه ، برزت رءوس ثلاثة قردة من أعلى ترمقهم فى نظرات منذرة ..

ـ « خذ هذه أيها الوغد ! »

وصوب البندقية وأطلق .. على الفور توارى رأسان على حين هوى الثالث ميتًا من أعلى .. وحين رأوه على الأرض أدركوا أنه من فصيلة القردة العليا شبيهة الإنسان .. ربما هو غوريلا أو شمبانزى أو أوتان ..

إن فى الموقف شيئًا مضحكًا ، لكن (بنكروفت) لم يكن على استعداد للضحك .. من المؤكد أن الموقف سينتهى وسيمكنهم طرد القردة واسترداد دارهم ، ولكن كيف ؟

مضى عليهم وقت طويل بالانتظار .. وفى النهاية بدا أن الوضع لن يتغير لأن القردة توارت خائفة داخل المسكن ، وخطر للمنهدس أن الطريقة الوحيدة لدخول المسكن هو عن طريق فتحة عند البحيرة .. كان قد سدها ببعض الحجارة حين اتخذوه سكنًا للمرة الأولى .. ستكون مواجهة دامية وجهًا لوجه لكن لا بد منها ..

كادوا ينطلقون حين سمعوا صرخات القردة .. نظروا لأعلى ليجدوا القردة تفر من المسكن مذعورة دون سبب مفهوم .. يبدو أنها فى ذعرها نسيت وجود السلم ، ووثب بعضها من أعلى ليتهشم على الحجارة ، وأطلق أصدقاؤنا رصاصهم فجندلوا عددًا لا بأس به منها .. وإن كانت إلا لحظات وإذا بالبيت خال تمامًا من الغزاة ..

هنا ـ وبشكل غريب غير مفهوم ـ انزلق سلم الحبال من أعلى ليصل إلى الأصدقاء ..

لما صعدوا أخيرًا ـ والأسلحة فى أيديهم ـ إلى المسكن ، لم يجدوا شيئًا غريبًا إلا قردًا أخيرًا خائفًا من نوع (أورانج أوتان) ، حاول الفرار منهم ، إلا أنهم تكاثروا عليه حتى قيدوه .. وكاد البحار يفتك به ، لكن الصبى (هربرت) أهاب به ألا يفعل :

ـ « سنتخذه خادمًا .. »

ولم يكن يمزح ، وبدا أن الفكرة راقت للكابتن (هاردنج) بدوره .. خاصة والقرد صغير السن قابل للتدريب ..

وهكذا ازداد عدد سكان المستعمرة واحدًا ، وتذكر (بنكروفت) قردًا عرفه من قبل اسمه (جوبيتر) ، لذا قرر أن يطلق الاسم ذاته على المستجد .. وإن اختصره إلى (جوب) ..

* * *

الفصل الثالث

فى الأيام التالية برهن (جوب) على أنه خادم مخلص .. يجيد أعمال النظافة ويخدمهم فى أثناء الطعام ، وينقل لهم ما يريدون .. بالإضافة إلى أنه نظف المسكن تمامًا من الحشرات ..

الحقيقة أن حياتهم على الجزيرة صارت تفى بكل احتياجاتهم ، إن لم تكن مترفة إلى حد ما .. وكانوا يعيشون فى الهواء الطلق ويمارسون العمل اليدوى ، حتى إنهم استبعدوا أن يمرض أحدهم يومًا ..

ونما جسد الصبى حتى إن طوله زاد بوصتين ، بينما نما عقله بسرعة أكبر لأنه كان يقضى وقته فى الاطلاع .. كما أنه كان يملك كنزًا علميًا هو المهندس (هاردنج) ، ومن الصحفى تعلم الكثير عن اللغات ..

وذات يوم كان يرمق البحر حين رأوا حيوانًا عملاقًا يسبح فى البحر بعيدًا ، فقال البحار :

ـ « هذا حوت .. أية وجبة رائعة كنا لنظفر بها لو كان عندى القارب والحربون ! »

وككل بحار كان يحمل بين جانبيه صياد أسماك يعشق عمله .. ولكن الأمر كان عسيرًا .. وقال المحرر الصحفى فى دهشة :

ـ « ما كنت لأحسب الحيتان توجد فى هذا الارتفاع .. »

قال الصبى :

ـ « ليس هذا غريبًا يا سيدى .. إن الصيادين الإنجليز يطلقون على هذه المياه ما بين (نيوزيلندا) وأمريكا الجنوبية اسم (مياه الحيتان) ، وهى المركز الرئيسى لتجمع حيتان المحيط الهادى .. »

كان مخلوقًا رائع الجمال ، وبدا أنه غير راغب فى مغادرة الجزيرة .. وقد راح يدور حولها وهو يطلق سحابة الزفير من فوق رأسه ، تلك السحابة التى لايعرف الناس إن كانت بخار ماء أم ماء ؟ مرت أيام عليه فى هذا الوضع حتى إنه أرق نوم (بنكروفت) ..

لكن الأقدار شاءت أن تحقق للرجل ما عجز هو عن تحقيقه ..

ذات صباح وجدوا الحوت على الشاطئ بعيدًا عن الماء ، وقد تكاثرت فوقه الطيور الجارحة .. دنوا منه متهيبين ، وكان بحق ضخمًا إلى حد رهيب .. لكنه كان ميتًا .. وفى جنبه رأوا حربونًا مغروسًا .. مد الصياد يده وانتزعه ، على حين هتف الصحفى :

ـ « إذن هناك سفينة صيد حيتان فى الجوار ! »

ـ « كلام فارغ ! أنت لا تعرف المدى الذى تسبحه الحيتان الجريحة .. ربما تلقى هذا الحوت الحربون فى شمال الأطلنطى وسبح حتى جنوب الهادى .. »

وقرأ العلامة المحفورة على الحربون : ماريا ستيلا ـ فينيارد .. أصابه التأثر عند قراءة هذا الاسم العزيز .. فهذا هو مسقط رأسه .. وطنه الأم .. و(ماريا ستيلا) سفينة صيد حيتان عظيمة يعرفها جيدًا ..

ولما كان قد جرب صيد الحيتان من قبل ، فإنه لم يجد صعوبة فى أن يبدأ تقطيع الحوت ـ بعد طرد الطيور طبعًا ـ وهى عملية شاقة تستغرق ثلاثة أيام .. وكان الناتج قدرًا هائلاً من اللحم والدهن والزيوت واللبن الذى يشبه مذاقه اللبن البقرى(*) ..

لما فرغوا من عملية النقل قرر المهندس أن يبهر أصدقاءه بحيلة جديدة ، فأخرج لهم واحدة من عظام الحوت العريضة المفلطحة وقال :

ـ «سأعلمكم طريقة صيد جديدة ليست من اختراعى، لكنها من اختراع الصيادين فى أمريكا الروسية (ألاسكا) .. هذه العظام ستتجمد ، من ثم أثنيها وأغمرها بالماء ، حتى يغطيها الجليد بالكامل .. ثم أغلفها بالدهن .. ماذا تظنون يحدث حين يلتهم حيوان جائع هذه العظام ؟ سيذوب الثلج طبعًا وتتحرر العظام المثنية فتفرد نفسها وتثقب أحشاءه ! »

ـ « هذه عبقرية ! »

(*) لا تنس أن الحوت حيوان ثديى يرضع أطفاله !

ومن جديد عادت الحياة لمجراها ، فيما عدا أن البحار كان الآن عاكفًا على صنع قارب .. قارب حقيقى يمكنه السفر فى المحيط ، والسبب هو أن المهندس (هاردنج) بعد ما أعاد حساب إحداثيات الجزيرة ، وجد أن هناك بقربهم جزيرة معروفة مرسومة على الأطلس اسمها (تيبور) .. وقد راق له هذا كثيرًا ، وخطر لهم أن يجربوا زيارتها لعلهم يجدون الحل فيها ..

استمر العمل كثيرًا جدًا فى القارب ، حتى إن الشتاء جاء عليهم من جديد وهم مستمرون فى العمل .. ولكن معنويات البحار كانت فى السماء ؛ لأنه استطاع الحصول على بعض الطباق أخيرًا .. لقد وجد الصبى بعض الشجيرات واقتطف منها مخزونًا لا بأس به ، ثم راح مع الكابتن ورفاقه يجففونه سرًا ثلاثة أشهر كاملة ، وفى النهاية قدموا غليونًا محشوًا للبحار ، فلم يصدق عينيه .. لقد صارت الجزيرة تضم كل ما اشتهته نفسه ، وقال لهم وهو ينفث الدخان بكثافة :

- من هذه اللحظة أنتم أصدقائى إلى الأبد ! »

وفى هذا الوقت كانت طريقة الصيد التى ابتكرها القبطان تؤتى ثمارها .. وماتت ثعالب كثيرة وخنزير برى وجاجوار .. وكانت معدة كل حيوان مثقوبة بالعظام إياها .. وكانت أسعد لحظات هؤلاء القوم هى فى المساء بعد وجبة عشاء شهية ، حين يجلسون جوار النار يدخنون ويصغون إلى العاصفة تهدر فى البحر من بعيد ..

وجاء اليوم الذى أعلن فيه (بنكروفت) أن المركب صار جاهزًا ..

لم يكن القبطان متحمسًا لمغادرة الجزيرة مثلما كان البحار .. فجزيرة (تييور) فى الغالب لن تحوى إلا الصخور والرمال .. لكن لنفرض أنهم فى قاربهم الصغير ضلوا الطريق إلى (تييور) ولم يستطيعوا العودة إلى (لنكولن) ، فماذا يكون مصيرهم فى وسط المحيط الهادى بهذا القارب الهش ؟

قال (بنكروفت) فى إصرار :

- « لا تقلق يا كابتن .. لكن علينا أن نفحص كل الاحتمالات .. ولو كنت قلقًا سأذهب أنا والصبى (هربرت) وحدنا .. »

- « ولو حدث لك شىء أنت وهذا الصبى الذى جعلته العناية الإلهية ابنًا لنا جميعًا .. أتحسبنا لن نموت من تأنيب الضمير ؟ »

- « لن يحدث شىء يا كابتن .. لا تقلق .. »

وكان على الرجال أن يجربوا .. هكذا حملوا المركب الشراعية الصغيرة التى صنعها (بنكروفت) إلى الماء ، وألقوا بها فيه ..وسرعان ماطفت واتخذوا مكانهم فيها ، وبدأت الرحلة البطيئة حول الجزيرة ..

بدا أن كل شىء على مايرام ، وماكان (بنكروفت) من النوع المتواضع ، بل راح يطرى نفسه بصوت عال ، وقد كان على حق .. إلا أن الكابتن ظل مترددًا بصدد تجربة الرحيل إلى جزيرة (تييور) ..

فجأة صاح (بنكروفت) :

ـ « هل ترون هذا الذى تحت المركب ؟ هذه زجاجة ! »

ومد يده بحذر فالتقطها من بين الأمواج ، وانتزع السدادة ، وتناول منه (هاردنج) الرسالة المطوية التى كانت بداخلها ..

كانت الكلمات تقول بالإنجليزية : النجدة .. أنا شريد على جزيرة (تيبور) .. ثم ذكر الإحداثيات ..

نظر (بنكروفت) إليه فى انتصار وقال :

ـ « الآن يا كابتن .. أمازلت مترددًا ؟ لابد أن نذهب إلى (تيبور) »

ـ « بالتأكيد .. سنفعلها غدًا .. لكن ألا تجدها صدفة غريبة أن نمر فوق الزجاجة فى هذا الوقت بالذات ؟ »

ـ « هذا من حسن حظ من رمى الزجاجة .. لولم أنته من صنع المركب اليوم ، لتهشمت الزجاجة على صخور الجزيرة .. »

تأمل الكابتن الرسالة باهتمام ، وقال :

ـ « يمكن أن نستنتج أن كاتب الرسالة يفهم فى الملاحة ما دام كتب إحداثيات الجزيرة ، كما أنه إنجليزى أو أمريكى .. والورقة لا تبدو عتيقة إلى هذا الحد .. ربما كان هو صاحب الصندوق الذى صار بحوزتنا .. »

الآن صارت أمامهم مهمة مقدسة .. فكاتب الرسالة مثلهم شريد ، ولربما لم يظفر بما ظفروا به من حظ حسن .. الآن صار عليهم أن ينقذوه .. وقد سرهم أنهم صاروا قادرين على إسداء العون للآخرين ..

وهكذا عادوا إلى مأواهم عازمين على بدء العمل صباح الغد .. لو استمرت الريح بالمعدل الحالى فلن يستغرق الأمر إلا ثمانية وأربعين ساعة للوصول إلى (تيبور) .. وهناك يوم فى الجزيرة ويومان للعودة .. وقرروا أن يركب البحر (بنكروفت) ، والصبى و (سبيلت) الذى لم ينس عمله كمراسل صحفى ، بينما يبقى الكابتن و (نيب) ، والقرد والكلب فى

المسكن .. وهكذا - فى الخامسة صباحًا - افترق الأصدقاء للمرة الأولى منذ خمسة عشر شهرًا ..

كان البحر هادئًا والرحلة موفقة ، وقد تناوب الأصدقاء على مراقبة القارب بينما ينام الأثنان الآخران .. وبالفعل فى فجر اليوم الثالث استطاعوا أن يروا الأرض .. وانتابهم قلق داخلى .. ترى هل ما زال الشريد هناك ؟ ترى هل سيقبل أن يستبدل بسجنه سجنًا آخر ؟ هل ينسجم معهم هم الذين لم يحدث بينهم أى خلاف طيلة هذه الفترة ؟

نزلوا إلى الجزيرة ومن اللحظة الأولى أدركوا أنها صغيرة جدًا ، وما كانت لتناسبهم على الإطلاق .. كانت هناك كلاب بحر تهرب إلى الماء الآن ، وقال الصحفى :

- « لابد أنها تعرف الإنسان .. لو لم تكن تعرفه لما فرت منا .. »

وواصل الرجال تفقد الجزيرة .. لم يكن هناك إنسان ولا أثر له .. من الواضح أن الجزيرة خالية

أو أن هناك من غادرها .. لكن النباتات كانت لا تنتمى لهذا المكان .. وكذلك كانت هناك طيور غريبة .. من الواضح أن بيئة الجزيرة قد عبثت بها يد بشرية قديمًا أو حديثًا .. معنى هذا أن إنسانًا كان يعيش هنا يومًا ما ومات أو غادر هذا المكان ..

قال (بنكروفت) وقد بدت عليه خيبة الأمل :

- « نواصل بحثنا غدًا .. أما الليلة فأرى أن نبيت هنا .. »

كانت هذه أحكم الأفكار الممكنة .. وكادوا يعودون إلى الشاطئ لكن الصبى صاح :

- « كوخ ! »

نظر الجميع إلى حيث أشار .. كانت هناك بالفعل بقعة بين الأشجار الكثيفة واضح أنها كوخ خشبى قديم .. هرع الثلاثة إلى هناك وو ارب (بنكروفت) الباب فى حذر ..

لكن الكوخ كان خاليًا ..

* * *

الفصل الثالث

تفقد الرجـال الكـوخ .. أشـعل (بنكروفت) عـود ثقاب ـ وكان (هاردنج) قـد صنـع بعضـه ـ واتجـه إلى ركن المكان حيث كانت مدفأة قديمة ، فأوقد النار فيها .. ثم راح الرجال يتأملون المكان .. كـان هنـاك فراش واضـح أنه لم يمس منـذ زمـن .. وكانت هناك خزانة بها ثياب بحارة ، وأوعية طهى وبرميل ملىء بالبارود وطلقات ..

قال (سبيلت) وهو ينظر حوله :

ـ « لا أحد .. لقد ترك صاحب الكوخ الجزيرة .. »

بثقة قال (بنكروفت) :

ـ « لا .. أنا أفهم البحارة ، وأعرف أن من ألقت به الأقدار هنـا لن يرحل تاركًا هـذه الأشياء الثمينة التى لا غنى عنها .. إن صاحب هذه الأشياء موجـود على الجزيرة الآن ! »

ـ « وحى ؟ »

ـ « حى أو ميت .. لكن لو كان ميتًا فهو لم يدفن نفسه .. سنجد جثته .. »

واتفق الرجال على تمضية الليلة فى هذا المسـكن المهجور .. أغلقـوا البـاب علـى أنفسـهم وجلسـوا .. وكـانوا متوترين يتوقعون أن ينفتـح البـاب فـى أيـة لحظة ويظهر هذا الرجل ..

وفى الصباح أدركوا أن الكوخ مصنوع من ألـواح خشب السفن .. لابد أنه حطام ألقى به الموج على الشاطئ ، واستغله ساكن الكوخ فى بنائه .. هنا فكر (بنكروفت) فى مركبهم .. ترى هل مسه أحد بعدما فارقوه طيلة الليل ؟

ولحسن الحظ وجـدوا المركب حيث هـو مربوطًا بحبل إلـى مرسـاته المغروسـة فـى الرمـال بعنايـة .. أطلق (بنكروفت) تنهيدة ارتياح ..

ومن جديد واصلوا البحث عن الجثة دون جدوى ..


كان راقدًا على ظهره يقاوم وحشًا يجثم فوق صدره ويحاول خنقه ..

لو كان ساكن الكوخ قد مات فإن الحيوانات المفترسة قد ظفرت بجثته حتمًا .. وقرر (بنكروفت) أن الحل الوحيد الصائب الآن هو العودة إلى جزيرة (لنكولن) بالمعدات التى وجدوها فى الكوخ ..

قال الصبى (هربرت) :

– « وكذلك بعض بذور النباتات .. وبهذا تصير لدينا نباتات العالم القديم والجديد معًا .. »

وانطلق الصبى ليقوم بهذه المهمة ، بينما راح الرجلان يصطادان بعض الحيوانات .. فجأة سمعا صراخ الصبى فركضا إلى مصدر الصراخ ..

كان راقدًا على ظهره يقاوم وحشًا يجثم فوق صدره ويحاول خنقه .. وقد تصرف الرجلان بسرعة مذهلة ، وبرغم قوة هذا الوحش الشبيه بالقرد فقد ألقياه على الأرض عاجزًا عن الحركة ، وصاح (بنكروفت) :

– « هل آذاك هذا القرد ؟ »

هتف الصبى :

- « لكنه ليس قردًا .. انظر إليه جيدًا ! »

وبالفعل لم يكن قردًا .. كان إنسانًا لكنه فى أسوأ حالات البدائية والتوحش .. شعره طويل ثائر وأظفاره سوداء متقصفة ، وجلد ساقيه جاف كأنه قرن الجاموس .. وهتف (سبيلت) وهو ينظر إليه مدهوشًا :

- « أتراه هو الشريد الذى جئنا من أجله ؟ »

- «نعم هو .. لكن أخشى أنه فقد كل أثر للإنسانية بعد كل هذه الأعوام .. بل أشك أنه كان إنسانًا يومًا ما »

وهنا قال الصحفى وهو يحكم رباط الأسير :

- « من واجبنا برغم كل شىء أن نأخذه معنا إلى جزيرة (لنكولن) . إن الروح لا تموت ، ولربما كان بوسعنا إنقاذ هذا التعس من حياة التوحش التى يعيشها .. »

وافقه الصبى بقوة ، واقتادوه إلى الكوخ حيث قدموا له بعض اللحم المطبوخ فلم يحفل به .. قدموا له بطة اصطادها (هربرت) فافترسها فى ثوان وهو يزوم كالوحوش .. كان من المستحيل أن تتبين عمره بسبب اللحية التى تغطى أكثر وجهه ، لكنهم قدروا أنه فى الخمسين تقريبًا ..

وفى الصباح ركب الرجال مركبهم مع أسيرهم ، واتجهوا إلى جزيرة (لنكولن) لكن الريح لم تكن مواتية .. وبعد إبحار ست وثلاثين ساعة لم يروا ما يدل على اقترابهم من الأرض ..

بدأ (بنكروفت) بتوتر ، وقد شعر بأنهم ضلوا طريقهم وسط المحيط .. إلا أنه فى مساء اليوم التالى رأى ضوءًا .. كان يتجه إلى الشمال فأدار الدفة باتجاه الضوء .. بالتأكيد كان هذا هو الضوء الذى أبقاه (هاردنج) للرجال طيلة الليل .. وهكذا أنقذ حياتهم ..

كانت مفاجأة بالنسبة للكابتن أن يرى هذا المتوحش .. لكنه لم يجادل لحظة فى أهمية أنهم

جلبوه معهم ، فما كان أحد ليحب أن يتركوه وحيدًا فى جزيرته تلك ، وقد قدر أن الرجل هو كاتب الرسالة وقد جن من فترة قصيرة ، لأن الرسالة مكتوبة من وقت قصير ، وبالتأكيد كان وحده على جزيرته ؛ لأنه لو كان هناك اثنان لتحدثت الرسالة عن ذلك ..

وفى الأيام التالية بدا أن المتوحش يعود ببطء إلى حياة المدنية ، وصار طعامه أقل دموية ، كما أن نظرة بشرية ما بدأت تظهر فى عينيه ..

لقد كان هادئًا صموتًا ، لكن حزنًا لاشك فيه كان يتبدى فى عينيه .. وهذه النظرة كانت هى الدليل الوحيد على أنه آدمى .. ويوم قرروا أن يجربوا تركه حرًا يجول جوار النهر بدت فى عينيه تلك النظرة ، ثم سالت دمعتان على خديه ..

هنا قال الصحفى :

- « إذن أنت بشرى بالتأكيد .. ما دمت قادرًا على البكاء !! »

* * *

الفصل الرابع

فى الأيام التالية بدا أن الغريب ميال لتبادل بعض الكلمات المقتضبة ، لكنه كان منعزلاً يحب أن يقف وحده عند الشاطئ ، أو يعمل فى أى شىء يكلفونه إياه ، وقد احترم الأصدقاء صمته لكنهم ظلوا يتساءلون عن اللحظة التى سيتكلم فيها .. كان فى سلوكه نوع واضح من الشعور بالذنب وكان يتكلم فى أثناء نومه كثيرًا ..

ذات مرة سأل الصبى :

- « هل أنتم إنجليز ؟ »

- « نحن أمريكيون »

- « أنا أفضل هذا .. »

- « وأنت ؟ »

- « أنا إنجليزى .. أى عام هذا ؟ »

- « 1866 .. أكتوبر .. »

- « اثنا عشر عامًا !! »

وعاد إلى الصمت والاكتئاب .. وعندما نقل الصبى هذه المحادثة إلى الكابتن (هاردنج) ، قال فى تفكير عميق :

ـ «ثمة أشياء كثيرة تجعلنى أرجح أن هذا الرجل لم يأت من سفينة غارقة .. بل هو على الأرجح مجرم تخلص منه الإنجليز على سبيل النفى .. وهذا كذلك يجلعنى أعتقد أن أحدًا لن يعود للبحث عنه .. إن اثنتى عشر عامًا لفترة طويلة .. »

قال الصحفى :

ـ «لو كان الأمر كذلك ، فماذا عن الرسالة فى الزجاجة ؟ لقد اتفقنا على أنها حديثة الكتابة ، والورقة لاتبدو عليها علامات الرطوبة .. لو كان كتب الرسالة من اثنى عشر عامًا لتهشمت الزجاجة على الصخور ، أو لبدت علامات القدم على الرسالة .. بالإضافة إلى دقته فى تحديد إحداثيات جزيرته ، مما يدل على أن لهذا الرجل خبرة بعالم الملاحة .. »

ـ «الحق أن هذا الرجل يدارى سرًا لاسبيل لنا إلى معرفته ، إلا لو قرر هو أن يتكلم .. دعونا لانضايقه ، وليتكلم حين يريد هو .. »

هنا دخل الرجل عليهم ، ونظر لهم نظرة غريبة خاوية وقال :

ـ « ماذا تعرفون عنى ؟ ماذا تعرفون عما اقترفت حتى آتى هنا ؟ بأى حق انتزعتمونى من جزيرتى ؟ لا تحسبوا أن هناك رباطًا من أى نوع بيننا .. هل أنا حر ؟ »

قال الكابتن فى حيرة :

ـ « نعم .. أنت حر طبعًا .. »

ـ « إذن هو الوداع .. »

وغادر المكان ، فكاد الصحفى يلحق به ، لكن الكابتن رفع يده يهدئ من روعه وقال :

ـ «دعه .. لن يذهب إلى أى مكان ، ولسوف يعود لنا .. إن هى إلا صحوة أخيرة لطباعه المتوحشة

التى تهاب الأسر ، ولسوف يعود إلى تعقله ويحكى لنا كل شىء .. »

وهكذا نسوا كل شىء عن الغريب ، وعادوا يمارسون حياتهم ، بينما اختار هو الحياة جوار البحيرة ..

فى أحد أيام ديسمبر دوى صراخ الصبى (هربرت) ، فهرع الرجال الذين سمعوه إلى مكانه .. رأوه يقف وظهره إلى شجرة ، بينما أسد أمريكى (جاجوار) يتهدده عن قرب .. لم يكونوا مسلحين ولم يدروا ماذا يفعلون ، لكن الغريب وثب على الأسد ، وسكين فى يده ، ودون أن يخاف مخالبه التى تمزق لحمه أمسك برأسه ، وأولج السكين فى حنجرته ..

سقط الأسد ميتًا ، فهرع (هاردنج) إلى الغريب وقال له :

ـ « أنت جريح .. لا .. لا تذهب .. أنت أنقذت فتانا ونحن مدينون لك للأبد .. »

قال الرجل وهو يتراجع للوراء كى لايمسه أحد :

ـ « أنا أطلب فقط معروفًا واحدًا .. ثمة حظيرة للحيوانات قمتم ببنائها هنا .. أريد أن يسمح لى بالمبيت فيها .. »

فكر المهندس فى الأمر ، ثم قرر أن يبنوا له كوخًا خشبيًّا قرب البحيرة ..

وبالفعل تم بناء الكوخ .. لكن الغريب لم يشارك فيه .. وفى اليوم الذى تقرر فيه أن يبدأ إقامته هناك جاءهم فى مأواهم وقال لهم :

ـ « أظن أن على الآن أن أحكى لكم قصتى .. »

قال المراسل الصحفى :

ـ « من حقك يا صديقى أن تظل صامتًا .. »

ـ « ومن واجبى أن أتكلم .. »

وساد الصمت على حين راح الرجل يحكى قصته التى طال الشوق لسماعها :

ـ « فى العشرين من ديسمبر عام 1854 كان هناك

قارب بخارى يخص لورد (جليناركان) النبيل السكوتلندى، راسيًا فى أستراليا .. وعلى ظهره كان اللورد وزوجته، وكان معه شاب وفتاة هما ابنا القبطان (جرانت) الذى اختفت سفينته (بريتانيا) منذ عام .. أما عن سبب المجىء فرسالة فى زجاجة وجدها أحدهم تقول إن الكابتن (جرانت) حى مع رجلين من طاقمه على جزيرة قرب (نيوزيلندا) .. وحددت الرسالة خط الطول لكنها لم تحدد خط العرض .. وفى أثناء الرحلة قابلوا رجلاً يدعى (آيرتون) قال إنه متأكد من أن القبطان (جرانت) موجود على أحد شواطئ أستراليا .. لأنه كان معى على السفينة لحظة غرقها .. وقد أخذه اللورد (جليناركان) معهم .. طبعًا لاداعى لأن أقول إن هذا الـ (آيرتون) كان خائنًا .. لقد قاد ثورة على القبطان (جرانت)، فتخلص منه هذا الأخير بتركه على شاطئ أستراليا، وما كان يعرف شيئًا عن غرق السفينة (بريتانيا) .. كل ما أراده هو أن يستولى على سفينة اللورد كى يستغلها فى القرصنة ..

« وبالعناية الإلهية تم إحباط الخطة، وقبض على (آيرتون) الذى توعده اللورد بتسليمه إلى السلطات البريطانية .. لكن الرجل انتزع منه وعدًا بأن يخبره بمصير القبطان (جرانت) إذا وعد بإنزاله على أول جزيرة .. وكان أن أعطاه الوعد .. لكن اتضح أنه لا يعرف شيئًا، لكن اللورد اضطر إلى تنفيذ ماوعد به، وأنزله على جزيرة (تيبور) .. ولم ينس أن يقول له : لربما أنت لاتستحق أن يذكرك الرجال لكنهم سيفعلون .. سأذكر دائمًا أنك هنا ولن أنسى ما حييت ..

« وهكذا رحل القارب ووجد (آيرتون) نفسه وحيدًا على هذه الجزيرة .. لكنه لم يحتج إلى الذخيرة ولا المأوى ؛ لأن الكابتن منحه هذا قبل أن يرحل ..

« وعاش الرجل مثقلاً بالآثام على ظهر الجزيرة .. يكلم نفسه .. يصلى داعيًا السماء أن تغفر له ..

« ومضى عام بعد عام .. وتدريجيًا تحول الرجل إلى متوحش .. كالذى ترونه أمامكم الآن ..

« لا حاجة بى إذن يا سادة إلى أن أقول إن هذا الرجل (آيرتون) هو أنا .. »

صمت الرجال وقد هزتهم القصة كثيرًا ، ثم نهض (هاردنج) فمد يده إلى الرجل وقال :

- « إن خطاياك كثيرة ، لكنى أحسبك كفرت عنها بكل هذه المعاناة وكل هذا الألم .. إننى أمد لك يدى فهل تقبلها ؟ وهل تقبل أن تكون منا ؟ »

صافحه الرجل بيد مترددة ، ثم أعلن أنه راغب فى أن يختلى بنفسه بعض الوقت .. هنا سأله الصحفى :

- « فهمنا أنك لم تكن راغبًا فى رؤية البشر .. لماذا ألقيت إذن بتلك الرسالة فى الماء ؟ »

نظر له (آيرتون) فى عدم فهم وقال :

- « أنا لم ألق أية رسالة فى الماء .. »

ولما انصرف تبادلوا نظرات الدهشة .. لقد كان صادقًا .. بالتأكيد كان صادقًا ، ولكن من الذى ألقى بالرسالة إذن ؟ ثمة احتمال واحد هو أن الرجل جن ونسى كل شىء عن الأمر ..

قال الصحفى للكابتن وقد تذكر رحلة البحث عن جزيرة (تيبور) :

- « حسنا فعلت يا كابتن يومها .. لو لم تنر لنا تلك النار لضللنا طريقنا فى البحر إلى الأبد .. »

نظر له (هاردنج) فى دهشة وقال :

- « أية نار ؟ »

- « النار التى أنرتها على هذه الجزيرة لتعيدنا إليها بعد ما ضل (بنكروفت) دربه فى العاصفة .. »

قال (هاردنج) فى صلابة :

- «لو كنت متأكدًا من حقيقة واحدة فى هذا العالم ، فهى أننى لم أشعل أية نار فى تلك الليلة ! »

★ ★ ★

جمع (هاردنج) رفاقه فى المأوى الجرانيتى لأمر مهم ، فلما اجتمعوا قال لهم :

- «ثمة أشياء خارقة للطبيعة تحدث على هذه الجزيرة .. دعنا لانقول إن الجزيرة خارقة للطبيعة لكنها

على الأقل غامضة جدًا .. أنتم تذكرون كيف سقطت أنـا فى الماء ، وبعد هذا وجدتمونى علـى بعد ربـع ميل داخل كهف لم أمش لـه .. هل تساءلتم عن السبب الذى جعل الكلب يقذف خارج المـاء بعد صراعه مع كلب البحر ؟ هل رأيتم كيف أننـا وجدنا رصاصة فى جسد الحيوان الـذى كـان (بنكروفت) يأكـلـه ؟ وهل لاحظتم كيف طفت الزجاجـة بـالذات لحظـة كنـا فـى القارب الصغير ؟ ما الذى أثار فزع القردة التى احتلت دارنا ؟ وكيف قذف السـلم من أعلى لنـا ؟ من كتب الرسالة التى يؤكد (آيرتون) أنه لم يكتبها ؟ »

كانـوا يصغون إليه ، وللمرة الأولى تحتشد هـذه الحقائق معًا راسمة الدهشة على وجوههم ..

واصل الكابتن الكلام :

- «والنـار التى رأيتموها فى أثناء عودتكم من جزيرة (تيبور) .. »

- « تلك النار التى بدت كنجم فى السماء .. »

- « هل أنتم واثقون من أنها لم تكن نجمًا ؟ »

- « حتمًا .. السماء كانت مكتظة بالغيوم الكثيفة وكان من المستحيل رؤية أى نجم .. »

- « حسن .. لم نشعل نارًا لا أنا ولا (نيب) .. بل إننا لم نغادر مأوانا ليلتها .. »

لم يجد أحدهم ما يقال وساد الصمت ..

أدرك الجميع أن هناك أسرارًا ما زالت فى أعمـاق هذه الجزيرة ، وتوجسوا خيفة من الغد ..

ولكن ذروة الموقف وقعت بعد أيـام حيـن بـدا للمحرر الصحفى أن هناك ظـلاً مـا يتحرك فى وسط البحيرة .. هنا هرع (هاردنج) يبحث عن التلسكوب الذى كانوا قد وجدوه فى الصندوق ..

نظر للأفق هنيهة ثم صاح :

- « لا شك فى هذا .. هناك سفينة تدنو من جزيرة (لنكولن) !! »

* * *

الجزء الثالث : سر الجزيرة

الفصل الأول

عامان ونصف مرا على هؤلاء القوم وهم على جزيرتهم منذ سقط بهم المنطاد ، والآن للمرة الأولى يرون سفينة .. لكن هل ترسو قرب الساحل أم تواصل رحلتها ؟ سرعان ما يعرفون هذا ..

للأسف ما كان بوسعهم إشعال نار لأنها لن ترى ، ولا التلويح بعلم ، ولا إطلاق السلاح لأنه لن يسمع .. ليس بوسعهم سوى الانتظار ومراقبة السفينة من بعيد .. وكان رأى الكابتن أن ينادوا (آيرتون) فلعله يتعرف السفينة ، ولعلها سفينة اللورد (جلينارفان) نفسه ، واسمها (دونكان) ..

تناول (آيرتون) التلسكوب وتفحص السفينة بعض الوقت ثم قال :

ـ « لا .. ليست (دونكان) .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لأن (دونكان) بخارية ، وأنا لا أرى أى دخان فوق هذه .. »

ومضى الوقت وهم يراقبون السفينة ، وخطر للكابتن أن عليهم إذا جاء الليل إشعال نار لاجتذاب الانتباه لأن هذه السفينة لو رحلت فلن تعود ..

ـ « إن فوقها علمًا ، لكنى ما زلت لا أستطيع تبينه .. هو ليس العلم الأمريكى وليس البريطانى ولا الروسى .. ليس أخضر كالبرازيلى ولا أبيض أحمر كاليابانى .. »

كان من الواضح أن السفينة الآن قررت أن تدخل الميناء ، وكانت سرعتها غير عادية .. هنا صاح (بنكروفت) :

ـ « هذا علم أسود ! »

ـ « إذن هو ما نخشاه سفينة قراصنة !! »

وجاء الليل وظلت السفينة واقفة بلا حراك فى البحر وسط الظلام ، وقال (بنكروفت) :

ـ « من يدرى ؟ ربما تقضى ليلتها هنا ثم ترحل فى الصباح .. »

وكأنما ترد عليه إذ التمع بريق من السفينة ثم دوى صوت طلقة مدفعيتها .. لقد كانت مسلحة ، وسرعان ما دوى صوت سلاسل المرساة .. لقد ألقت السفينة بهلبها على مرأى من بيت الجرانيت !

★ ★ ★

الآن لم يعد من شك فى نية القراصنة .. سيهبطون على الجزيرة ، غالبًا من أجل الماء .. وبالتأكيد سيلاحظون الجسر وآثار الإنسان العديدة .. لكن (هاردنج) لم يفهم سر إطلاق المدفع .. تراه نوعًا من التبجح واستعراض القوة ؟ على كل حال لن يستطيع هؤلاء القوم الوصول إلى منزل الجرانيت ، وهكذا يمكن للأصدقاء الاختفاء هناك إلى أن يأخذ هؤلاء حاجتهم من الجزيرة ويرحلوا ..

وكان أن اقترح (آيرتون) :

ـ « سأذهب إلى السفينة سباحة لأعرف مدى قوة هؤلاء .. »

ـ « لكنك بهذا تغامر بحياتك يا صديقى .. ليس هذا واجبك .. »

ـ « إن على أن أفعل ما هو أكثر من الواجب يا سيدى .. لعلى بهذا أحسن صورتى أمام نفسى .. »

أصر (بنكروفت) على أن يرافق الرجل فى مغامرته الخطيرة ، وانطلق الرجلان إلى الشط ..

وصل (آيرتون) إلى السفينة فلم يشعر به أحد .. اقتضاه الأمر نصف ساعة من السباحة حتى صعد إليها ، وراح فى الظلام يصغى لأصوات البحارة الغليظة العالية الملأى بالسباب ..

لقد أدرك على الفور أنهم قراصنة ، وأنهم أشرار بحق ، وأنهم أساسًا مساجين فروا من جزيرة (نورفولك) التى ينفى إليها أمثالهم ، وهم الآن

قراصنة تحت إمرة زميل قديم له من الأشرار اسمه (بوب هارفى) .. هم فى الغالب علقوا العلم الأسود وأطلقوا المدفع على سبيل التبجح والفخار .. وعددهم حوالى خمسين على أقل تقدير ..

لا أمل للأصدقاء مع هذه الحثالة .. أول ماسيقومون به هو ذبح كل من يجدون على الجزيرة ؛ لأنهم يزمعون أن يتخذوها قاعدة لهم ، وهذا يعنى أنه لابد من القتال .. لابد من إبادة هؤلاء بالكامل .. ولكن كيف ؟

هنا فكر الرجل فى فكرة بطولية .. لم لا يفجر السفينة بمن عليها ؟ سيكون أول الضحايا ، لكنه بهذا يكون قد أنقذ رفاقه ، وطهر حياته الحافلة بالآثام ..

تسلل إلى مخزن الذخيرة .. كان الرجال ملقين على الأرض ثملين تمامًا ، فسرق مسدس أحدهم عالمًا أن طلقة واحدة على البارود ستكون كافية . بدأ يعالج القفل حين لمس أحدهم كتفه وهتف :

- « من أنت ؟ »

استدار ليرى صديقه القديم (بوب هارفى) ، لكن الأخير لم يتذكره طبعًا بعد كل هذه الأعوام .. حاول أن يتخلص منه لكن الرجل صاح ينادى الرجال .. أطلق (آيرتون) طلقتين على رجلين ، وأصابته طعنة سكين فى كتفه .. لقد فشل مشروعه الطموح لكنه لن يتركهم يقتلونه .. يجب أن يحتفظ بنفسه ليساعد رفاقه على الجزيرة ..

تملص من مطارديه ووثب إلى البحر ، بينما انهمرت الطلقات من حوله ..

بالطبع يمكننا أن نتصور شعور أصدقائنا حين سمعوا صوت الطلقات من السفينة .. لقد عرفوا أن (آيرتون) فشل وربما قتل كذلك .. لكنهم أبصروا الرجلين قادمين فى القارب الصغير ، وكان (آيرتون) جريحًا فى كتفه .. وقد تنفسوا الصعداء لدى رؤيته .. ولم يقلل فرحتهم أنهم عرفوا أن المعتدين لايقلون عن الخمسين ، وقد عرفوا الآن أن الجزيرة مأهولة بالبشر ..

قال (هاردنج) :

ـ « ستة رجال ضد خمسين ! لسوف ننتصر .. فنحن ستة لكن عددنا أكثر بكثير .. لأن معنا .. »

ولم يتكلم .. بل أشار إلى أعلى .. إلى السماء ..

★ ★ ★



استدار ليرى صديقه القديم (بوب هارفى) ، لكن الأخير لم يتذكره طبعًا بعد كل هذه الأعوام ..

الفصل الثانى

كانت خطة (هاردنج) بسيطة جدًا .. المطلوب ألا يهبط هؤلاء القراصنة على الجزيرة بأى ثمن ، ولهذا سيكون على الستة أن يتفرقوا عند أماكن الاقتراب المتوقعة .. وأن يطلقوا الرصاص بغزارة وبلا اقتصاد ، بهدف إقناع المعتدين أن هناك عددًا كبيرًا من الرجال على الجزيرة ..

وكان الضباب الكثيف قد بدأ ، مما ساعد الرجال على اتخاذ أماكنهم ، وحين انقشع الضباب كانت أولى بوادر المعركة قاربًا يحمل عشرين رجلاً مدججًا بالسلاح قادمين من السفينة ..

وعلى الفور بدأ أصدقاؤنا إطلاق النار على القادمين .. بالفعل سقط منهم عدد لا بأس به ، لأنهم لم يرتابوا فى شىء .. وعلى الفور بدل أصدقاؤنا أماكنهم تحسبا لما سيأتى .. لقد صوبت السفينة

مدافعها الثلاثة نحو مصدر النيران وأطلقت النار .. لكن القنابل سقطت على الصخور فلم تؤذها إلا قليلاً ..

وعاد القارب إلى السفينة وبدا أن الغضب أطار عقل القوم هناك .. وسرعان ما احتشد منهم ستة هبطوا فى القارب ، متجهين إلى الناحية الأخرى من الجزيرة .. وهذه المرة كانت المناورة بارعة .. القارب يتجه للشاطئ ، بينما السفينة تحاول الدنو من الخليج لترسو هناك ، وهى تطلق القنابل بلا انقطاع ..

وأسقط فى يد أصدقائنا .. لو تمكنوا من الصمود أمام القارب ستجد السفينة الوقت الكافى للرسو وإنزال رجالها .. والعكس صحيح ..

وقرروا أن يحتشدوا فى مكان واحد ؛ لأن الوقت صار وقت الاتحاد لا التفرق .. وانتظروا حائرين ما سيحدث ..

فجأة دوى صوت عال من وسط البحر ، ونظر الرجال المدهوشون إلى السفينة .. كان انفجار هائل

قد قسمها إلى نصفين وهوت بمن عليها من حثالة إلى أعماق البحر !

لم يجد أصدقاؤنا تفسيرًا لما حدث ، خاصة أن السفينة غاصت تمامًا حتى لم يبق منها شىء ، ولم يطف شىء ..

ـ « ما زال هناك ستة أوغاد فى قاربهم ، ولابد أنهم فى الجزيرة الآن .. »

قال (هاردنج) فى انبهار :

ـ « فيما بعد .. فيما بعد .. ستة ضد ستة .. لن يكون هذا صعبًا .. المهم الآن أن ننقذ من هذا الحطام ما يصلح لنا هنا .. سنجد أشياء ثمينة جدًا »

وسرعان ما راح الرجال يسبحون نحو الحطام الذى طفت منه عدة أجساد ميتة ، وراحوا ينقلون المجاديف والأخشاب والأشرعة إلى الشاطئ ..

وتساءل (سبيلت) وهم يعملون :

ـ « ما زلت لا أفهم سبب انفجار هذه السفينة .. »

قال (بنكروفت) :

ـ « الأمر واضح تمامًا .. هذه ليست سفينة عسكرية يحكمها الضبط والربط .. لابد أن أحد هؤلاء الحمقى ألقى بلفافة تبغ مشتعلة فى مخزن البارود .. »

قال الكابتن (هاردنج) :

ـ « لكننا جميعًا لحظة الانفجار رأينا السفينة ترتفع فى الهواء ثم تميل على جنبها ، قبل أن تنشطر إلى نصفين .. الانفجار لم يأت من الداخل بل من الخارج .. »

ومد يده وسط الأنقاض التى نقلوها على الشاطئ ، وأخرج جسمًا أسطوانيًا صغيرًا من المعدن ، وقال :

ـ « هل تعرفون هذا ؟ »

على الفور فهم البحار ما ينظرون إليه :

ـ « هذه قطعة من طوربيد ! السفينة قد قصفت بطوربيد من تحت الماء .. »

- « نعم .. والآن نفهم أن هناك من يرعانا فى هذه الجزيرة من البداية .. من يوم أن سقطت أنا فى الماء وحملنى أحدهم إلى هنا .. ومن يوم أن سقطت القردة من مأوانا وتدلى الحبل لنا .. ومن يوم أن وجدنا الرسالة التى لم يكتبها (آيرتون) .. والنار التى هدت القارب ليلاً .. والطوربيد الذى أباد القراصنة فى اللحظة التى دنا خطرها منا فيها .. »

وكان كلامه منطقيًا بلا شك ..

* * *

الآن صار شغل الرجال الشاغل أن يجدوا هذا المنقذ الخير الذى أخرجهم من أسوأ متاعبهم .. والحقيقة أن براعته وشمول علمه كانا قويين إلى درجة أضفت عليه طابعًا خارقًا للطبيعة ..

وكان رأى (هاردنج) أنه بصرف النظر عن طبيعة هذا المنقذ ، فإن عليهم ألا يتركوا حجرًا فى الجزيرة دون أن يقلبوه .. لابد أن يجدوا هذا الرجل إما ليعاونوه أو ليشكروه ..

- « وماذا عن الستة القراصنة الموجودين فى الجزيرة الآن ؟ »

- « سنتركهم للظروف .. »

- « لكنهم ستة ضد ستة .. وهم مسلحون ويمكنهم بسهولة السيطرة على الجزيرة .. »

- « سنبحث لكن عن منقذنا الغامض .. من الوارد أن نقابل هؤلاء فى الوقت ذاته .. »

وبالفعل تمكن الرجال من الخلاص من القراصنة ، ولكن هذا كلفهم قاربهم .. لأن الرجال سرقوه وأبحروا به فى البحر وهم لايفقهون شيئًا فى الملاحة ، وكانت النتيجة هى أن تهشم القارب على الصخور ، ولقوا حتفهم ..

بالطبع كاد (بنكروفت) يجن حين عرف هذا ، وراح يسب السفاحين الملاعين .. طمأنه (سبيلت) بأنهم قادرون على صنع قارب آخر ، لكن هذا يستغرق ثلاثة أو أربعة أشهر أخرى ..

كانوا بحاجة إلى القارب ؛ لأنـه لا بد لهم من أن يزوروا جزيرة (تيبور) مرة أخرى ، كى يتركوا هنـاك إحداثيات جزيرتهم ، وذلك فى حالة عودة البريطانيين إلى المكان الذى تركوا فيه (آيرتون) ..

بدأت الآن عمليـة استكشـاف دقيقـة للجزيـرة .. ارتاد الرجـال جبل (فرانكلين) الـذى لم يفتشوه مـن قبل .. هبطوا الحفر جميعًا واستكشفوا الأنفاق ..

صحيح أنهم لـم يجدوا شيئًا ، لكـن (هـاردنج) اعترف لنفسه بأنه يسمع ضوضاء قادمة من أسـفل طيلة الوقت .. كأنها فوران فى أعماق الأرض .. وقد سمع (سبيلت) الشىء ذاته فهمس فى أذنـه :

ـ « إذن البركان ليس خامدًا تمامًا ؟ »

ـ « يبدو هذا .. لكن أعتقـد أن الحمم لـو خرجت ستشق طريقها إلى المخرج الطبيعى فـى فوهـة جبـل (فرانكلين) »

ـ « مـا لم تجـد لنفسـها سـبيلاً آخر عبر الأرض

الخصيبة ! هذا يحتاج إلى زلزال .. وهذه ليست شيئًا نـادرًا مـع الـبراكين .. إن الجزيـرة تعمـل كغلايـة والبركان يعمل كمدخنة .. »

ـ « من مصلحتنا ألا يحدث هذا ، لكننا لا نسـتطيع منع ما سيحدث .. فقط يمكننا اللجوء إلى المرتفعـات البعيدة التى يفصلها عن البركان واد عميق .. يمكـن أن نأمل أن تتجمع الحمـم هنـاك ولاتبلغنـا .. »

وصمت الرجلان ولحقا بالمجموعة ..

الحقيقة أن البحث فى كل صوب لم يسفر عن شىء ، وهذا دعم يقين (بنكروفت) و(نيب) بالطبيعة الخوارقيـة للمنقذ الموجود فى الجزيرة ..

وجاء الخامس والعشرون من مارس ، وفيه احتفل الرجال بالذكرى الثالثة لهبوط المنطـاد بهم على هذه الجزيرة ..

* * *

الفصل الثالث

كانت خطة (هاردنج) الحالية تقضى ببناء سفينة كبيرة تسمح لهم بالذهاب إلى جزيرة (تيبور) لتترك رسالة هناك، وفى الغالب ستفشل هذه الخطة، لذا يجب أن تكون السفينة قادرة كذلك على الإبحار نحو أرخبيل (بولينيزيا) أو (نيوزيلندا) .. وقد سأل (بنكروفت) عن الوقت الذى يستغرقه بناء سفينة كهذه تزن نحو ثلاثمائة طن فقال :

ـ «نحن لانفتقر إلى المعدات والخشب .. المسألة مسألة وقت .. لكن الشتاء قادم فى يونيو، والأخشاب فى الشتاء لاتسمح ببناء السفن .. لذا أرى أن فترة سبعة أشهر ستكون مناسبة، ولو صارت السفينة جاهزة فى (نوفمبر) لاعتبرت أننا محظوظون حقًا ..»

ولم يتشكك الرجال فى قدراتهم ؛ لأن نجاحهم السابق جعلهم يثقون بأنفسهم ..

كان المهم الآن قطع الأخشاب ؛ لأن الخشب لانفع منه وهو أخضر .. لابد من تركه بعض الوقت حتى يجف .. وعلى رصيف الميناء الذى بنوه بدأت مقدمة السفينة تتكون .. وكان (آيرتون) متعاونًا واسع الخبرة، لكنه ظل متحفظًا أقرب إلى الندم والحزن كعادته .. وأخيرًا جاء الشتاء فى آخر مايو ومعه صار عليهم التوقف .. كان الشتاء قاسيًا بشكل خاص فى هذه المرة، وقد أبدى الصحفى دهشته لأن هذا يناقض مايعرفون من أن الجزر تكون أميل للاعتدال، لأن البحر المجاور لها يبرد ببطء ويسخن ببطء .. وقد حاول (هاردنج) تفسير هذه الظاهرة على أساس أن نصف الأرض الجنوبى أبرد عمومًا من النصف الشمالى .. أضف لهذا أن هناك جبالاً جليدية أكثر فى النصف الجنوبى، ويبدو أن الجزيرة قريبة من بضعة جبال جليدية تجعل جوها بهذه البرودة ..

وجاء سبتمبر ومعه علامات تثير القلق ..

للمرة الأولى رأى الرجال الدخان يتصاعد من قمة جبل (فرانكلين) حيث البركان ..

ومن يومها لم يختف الدخان قط ، وقد طمأنهم المهندس ألا خطر هنالك .. لقد حدث هذا مرارًا من قبل ، ومن المؤكد أن الحمم وجدت سبيلها إلى البحر دون أن تؤذى الجزيرة ، لكن من العسير أن تتنبأ بالمستقبل على ضوء الماضى .. إن بركان (إتنا) مثلاً يتصرف فى كل ثورة له بشكل مختلف ..

وهكذا زاد الرجال من سرعة العمل فى السفينة ..

وفى المساء كانوا يرقدون فى أسرتهم منهكين ، لكنهم يتكلمون عن الوطن ، وعن هذه الجزيرة التى أحبوها وتمنوا لو تصير مستعمرة أمريكية تضاف إلى الاتحاد .. وكانوا موقنين من شىء واحد .. لو كتبت لهم العودة إلى ديارهم فلسوف يعودون إلى الجزيرة مرة ثانية ، يومها سيكون (هاردنج) هو الحاكم ، ولسوف يعيش هنا نحو عشرة آلاف شخص ..

★ ★ ★

أوصلهم البحث إلى أحد الكهوف التى تعود إلى عصور جيولوجية سحيقة .. كانوا يركبون القارب

الصغير (الكانو) ، ويسبحون الآن فى بحيرة داخل أحد الكهوف .. حينما لاحظوا ضوءًا غريبًا فى نهاية الكهف .. ضوءًا لم يرتابوا كثيرًا فى طبيعته .. هذه مصابيح كهربية لا شك فى هذا ..

فجأة رأوا عند نهاية الممر شيئًا يبرز من الماء .. هو جسم معدنى له شكل الجزء العلوى من حوت عملاق ..

وقف (هاردنج) يرمق هذا الشىء فى ذهول ، وقد بدا أنه فريسة انفعال شديد .. ثم أمسك بذراع الصحفى وهتف :

ـ « إنه هو .. لا يمكن إلا أن يكون هو ! »

وهمس باسم سمعه الصحفى ، فتذكره هذا الأخير وهمس بدوره :

ـ « هو ! رجل خارج على القانون ! »

ودنا القارب من الجسم المعدنى الطافى فوق الماء .. ولمس الجانب الأيسر حيث كانت نافذة يخرج منها

شعاع من الضوء .. صعد الرجال على جسم الشىء المعدنى ، ووجدوا ما يشبه السلم يقود إلى باب موصد ..

فتح (هاردنج) الباب ليجد غرفة مزخرفة بشكل فخم .. مشوا فيها ليجدوا أنفسهم فى غرفة أخرى ازدانت جدرانها بكنوز البحار والعينات الجيولوجية ، وعلى أريكة رأوا رجلاً لايبدو كثيرًا أنه لاحظ قدومهم ..

هنا قال (هاردنج) لدهشة رفاقه :

ـ « كابتن (نيمو) .. نحن هنا .. »

* * *

الفصل الرابع

عند هذه الكلمات نهض الرجل الراقد ، وسقط الضوء الكهربى على وجهه ، بجبهته الشامخة ولحيته الشائبة ، ونظرة عينيه الآمرة ، برغم أنه من الواضح أنه مريض .. وكان هادئًا بشكل واضح .. وبلهجة إنجليزية ممتازة قال :

ـ « سيدى .. أنا لا اسم لى .. »

ـ « لكنى برغم هذا أعرفك .. »

نظر له الرجل فى ثبات ، ثم سقط من جديد ليستلقى على الأريكة وقال :

ـ « على كل حال .. ما الفارق ؟ إننى أموت .. »

راح الرجال ينظرون له فى فضول .. فهم لم يتصوروا قط أن حاميهم كان رجلاً عاديًا وليس كيانًا خارقًا للعادة .. وقال الرجل للمهندس :

ـ « هل حقًا تعرف اسمى وتعرف هذه الغواصة الرائعة التى نحن فيها الآن ؟ »

ـ « النوتيليوس(*) »

ـ « إذن لم يهلك الفرنسى الذى كان معى فى الغواصة ؟ »

ـ «لقد نجا وكتب قصتك فى كتاب اسمه (عشرون ألف فرسخ تحت البحر) .. وحكى فيه كل شىء عن حياتك .. »

ـ « بل حكى عن بضعة أشهر منها !! لكنها كانت كافية .. »

ـ « كافية لاعتبارى مجرمًا وخارجًا على القانون ومعاديًا للبشرية ! »

ـ « ربما .. لكن ليس عملى أن أحكم عليك

(*) يعرف قراء (جول فيرن) جيدًا الكابتن (نيمو) وغواصته (نوتيليوس) من قصة (عشرون ألف فرسخ تحت البحر) .. وقد حسبناه هلك مع غواصته فى القصة الأولى ، لكنه هنا يعود للحياة ..

يا سيدى .. كل ما أعرفه أن يدًا كريمة قادرة أسدت لنا الكثير من العون على ظهر هذه الجزيرة .. وكنت أنت صاحب هذه اليد .. »

وبصوت واهن راح الكابتن يحكى لهم قصته .. كان يبذل فى هذا آخر ما بقى فى جسده من قوة ، وقد طلب منه الصحفى مرارًا أن يدخر قوته لكنه قال :

ـ « لا جدوى .. إن ساعاتى هنا معدودة .. »

كان الكابتن (نيمو) من أصل هندى .. الأمير (داكار) ابن راجا من مقاطعة (بندلقند) التى كانت وقتها مستقلة .. أرسله أبوه فى سن عشر سنوات إلى أوروبا لينال تعليمًا طيبًا ..

لم يهتم الفتى بمتع الحياة التى يمنحها له ثراؤه ، لكنه اهتم بفهم العالم ، وتحصيل العلوم بكل أنواعها .. وظل على هذا المنوال حتى بلغ سن الثلاثين .. كان يعانى جوعًا لا يشبع إلى المعرفة .. وزار أكثر أقطار أوروبا ..

وفى عام 1849 عاد إلى (بندلقند) حيث تزوج أميرة هندية وأنجب طفلين .. وفى عام 1857 قامت ثورة كبرى ضد الإنجليز فى الهند .. ووجد نفسه ينضم لها مدفوعًا بطموحه ، لكن الثورة فشلت وعاد البريطانيون إلى السيطرة ، وسرعان ما اضطر الرجل إلى التراجع إلى الجبال شاعرًا بالمقت للحضارة البشرية كلها ، ولبريطانيا بالذات ..

شعر بحاجة إلى الهرب من هذا العالم كله .. ربما إلى أعماق المحيط ..

وفى جزيرة معزولة وسط المحيط الهادى ، بدأ تنفيذ مشروعه الكبير ، وبدأ يصمم غواصة منحها كل علمه .. قام بتركيبها وتصميم دوائرها الكهربية وخزانات وقودها .. هناك تحت الماء لن يعانى من عوز .. المحيط كله بكنوزه وأسماكه ملكه .. وأطلق على غواصته هذه اسم (نوتيليوس) وأطلق على نفسه اسم كابتن (نيمو) .. واختفى تحت المحيط ..

ولأعوام عدة جمع ثروات لا يمكن وصفها من

الكنوز الغارقة .. وكان له لقاء مع أستاذ فرنسى هو ما تم نشره فى الكتاب المدعو (عشرون ألف فرسخ تحت البحر) ، لكن الناس حسبوا أن (نيمو) غرق مع (النوتيليوس) لكنه فى الحقيقة ظل حيًا ، وعاش يتنقل بين المحيطات ، حتى مات رجاله واحدًا بعد الآخر ودفنوا فى المحيط الهادى ، وسط الشعاب المرجانية ..

الآن هو فى الستين من عمره ، وقد جاء إلى هذه الجزيرة ليعيش فى أحد كهوفها تحت الماء ، وقد راح ينتظر الموت ، حين فوجئ بسقوط البالون الذى يحوى أصدقاءنا .. رأى سقوط المهندس فى البحر .. وأنقذه بغواصته وحمله إلى الشاطئ .. كما أنقذ الكلب ..

ولقد راقب أصدقاءنا كثيرًا ، وعرف كيف يعيشون ويتكيفون مع حياتهم ، وتحمس لهم لأنه عرف أن هناك أملاً وخيرًا فى الجنس البشرى .. وهو من ألقى لهم بالحقيبة التى تحوى منافع كثيرة جمة لهم ..

وهو من طرد القرود فقد كـان يستطيع الوصول مـن البحيرة إلى الفتحة الخلفية لبيت الجرانيت ، كما أنـه هو من أطلق الطوربيد على سفينة القراصنة ، ودلهم على (آيرتون) المنفى وحده فى جزيرة (تيبور) ..

ثم فرغ الكابتن من اعترافاته فنظر للرجال وقال :

ـ « ماذا تقولون عن حياتى ؟ »

صمت (هاردنج) قليلاً ثم قال :

ـ « ثمة أفعال يحار البشر فيها .. ما يبدو صوابًا للبعض يبدو خطأ لآخرين .. فقط اللـه يملك الحكم على حياتك .. »

نظر (نيمو) إلى أعلى وتساءل :

ـ « هل كنت محقًا أم مخطئًا ؟ »

قال له (هاردنج) :

ـ « بالنسبة لنا لن ننساك أبدًا ونحن مدينـون لـك للأبد .. »

هنا زحف الصبى على ركبتيه نحو الكابتن (نيمو) وطبـع علـى يـده قبلـة ، فترقرقت دمعتـان فـى عيـن الرجل وهمس :

ـ « ألا بارك اللّٰه فيك .. »

* * *



هنا زحف الصبى على ركبتيه نحو الكابتن (نيمو) وطبع على يده قبلة ..

الفصل الخامس

جلس الرجال مجتمعين حول الكابتن النائم الذى ذهبت قواه ، وراحوا يفكرون كيف يساعدونه ، لكن الأمر كان عسيرًا بحق .. وأدركوا أن ما يعانيه ليس مرضًا بعينه ، بل هو غياب عام للحياة من جسده ..

فتح عينيه وفى وهن قال لهم :

- « هل تشعرون حقًّا بأنكم تريدون إسداء خدمة لى ؟ »

قال (هاردنج) فى إخلاص :

- « بالطبع يا كابتن .. لو استطعنا لوهبناك حياتنا جميعًا .. »

- « حسـن .. إليكم وصيتى .. أنا أعرف أننى سأموت غدًا .. »

كاد (سبيلت) يحتج ، لكن (هاردنج) أسكته بإشارة من يده ؛ كى يواصلوا سماع ما يقول الكابتن :

ـ « أريد حين أموت أن أدفن تحت المحيط مثل رجالى .. أريد أن أدفن فى غواصتى الحبيبة .. لهذا أريد منكم حين أغمض عينى للأبد أن تأخذوا هذا الصندوق .. إنه يحوى جواهر ثمينة احتفظت بها من أيام حسبت السعادة شيئًا ممكنًا .. أنا أعرف أنها لن تكون سيئة الطالع معكم .. لكن لا تأخذوا أى شىء آخر من كنوز (نوتيليوس) لأنها يجب أن تعود إلى المحيط .. بعد هذا غادروا الغواصة عن طريق الممر الجانبى ، هناك تجدون كوتين متصلتين بالبحر .. افتحوهما ليتسرب الماء إلى الغواصة ببطء .. غادروا المكان واتركوها تهوى إلى القاع .. لا تقلقوا ! أنتم تدفنون جثة لا رجلاً حيًا .. »

غادر الرجال المكان صامتين ووقفوا يتأملون روعة (النوتيليوس) التى كانت قطعة من الإبداع فى الفن والهندسة معًا ، وقد اقترح (آيرتون) فكرة مؤداها أن هذه الغواصة قد تكون أملهم الوحيد فى مغادرة الجزيرة ، هنا صاح (بنكروفت) فى تقزز :

ـ « غواصة ؟ أنا أفهم الإبحار لكن تحت الماء ؟ مستحيل ! »

ـ « ربما كانت قيادة غواصة سهلة .. وتحت المحيط على كل حال بعيدًا عن العواصف والتقلبات والأمواج .. »

هنا تدخل (هاردنج) :

ـ « الفكرة مرفوضة .. أولاً : نحن لا نستطيع قيادة هذه .. ثانيًا : نحن أعطينا كلمة للرجل ، وهى بالنسبة لى قد صارت قانونًا .. (النوتيليوس) يجب أن تدفن مع مخترعها .. »

هنا دق جرس من غرفة الكابتن ، وعرفوا أنه يريد الحديث مع (هاردنج) على انفراد .. وقد عاد (هاردنج) صامتًا ولم يذكر حرفًا عما دار فى المحادثة ..

فى الساعات التالية راح كابتن (نيمو) يذبل باستمرار .. لم تعد قواه الروحية قادرة على إبقائه

حيًا .. وقد وضع ذراعيه على صدره كأنما يتخذ الوضع الأمثل للموت ..

وفى الواحدة صباحًا كان قد شحب تمامًا .. قال : « اللّه ثم وطنى .. » وبعدها لفظ أنفاسه الأخيرة ..

بكى جميع الأصدقاء عليه ، وأغمض (هاردنج) عينيه فى تأثر وقال للرجال :

ـ « فلنصل من أجله .. »

وسرعان ما بدأ الرجال ينفذون وصية الرجل .. أخذوا الصندوق ، ثم غادروا الغواصة بعد ما أغلقوا الأبواب جميعًا .. وفتحوا الكوتين ، وسرعان ما بدأت (النوتيليوس) تهبط إلى القاع .. ووقف الرجال يراقبونها وهى تحمل صانعها الأمير (داكار) الذى لم يعد الآن كابتن (نيمو) ، إلى قبره الجديد ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية ـ منتصف يناير ـ كان الصبى يمارس القنص قرب جبل (فرانكلين) ، حين لاحظ

أن الدخان حول الجبل يزداد كثافة وأنه يخرج من فوهته متخذًا شكل القبعة ..

عاد للرجال وأخبرهم بالأمر ، وحين جاءوا فى اليوم التالى وجدوا أن الدخان صار كثيفًا يرتفع فى شكل عمود رمادى ، إلى ارتفاع ثلاثمائة قدم .. قال (بنكروفت) :

ـ « هذا طبيعى .. البركان بدأ يتنفس ثم قرر أن يدخن ! »

على الرغم منهم ابتسم الرجال لهذا التشبيه ، وقال (سبيلت) :

ـ « النار فى المدخنة ولابد من إطفائها .. »

راح (هاردنج) يصغى فى اهتمام ثم نظر إلى رفاقه ، وقال فى خطورة :

ـ « علينا أن نواجه الحقيقة .. إن حياتنا لن تعود كما كانت .. من الواضح أن النار مشتعلة هناك ، ولن يلبث البركان أن يثور مهددًا كل شىء هنا .. »

وكان قلقًا بحق .. لو أن البركان تصرف كما ينبغى

له فإن اللافا المخيفة ستهبط إلى البحر ، لكن لا شىء يضمن ألا تحدث زلازل ، وجزيرة (لنكولن) تملك عناصر متنوعة من الجرانيت والبازلت والتربة الخصبة .. هذه عناصر يستحيل أن تلتحم معًا بشكل جيد ..

وكان (آيرتون) الآن على الأرض يلصق أذنيه ويصغى ، وقال لهم :

- «ثمة صوت قعقعة واضحة .. كأنما عربة محملة بالمواسير .. »

هنا صاح (بنكروفت) فى حماسة :

- « دعوا البركان يزأر كما يريد .. لدينا الكثير من العمل اليوم فى سفينتنا .. وهو عمل لا تكفى له مئات الأيدى .. لابد خلال شهرين من أن نتمكن من تعويم سفينتنا .. »

وراح الرجال يعملون ، لكن عند المساء نظروا إلى البركان الذى يبعد عنهم الآن ستة أميال ، فبدا

لهم كمشعل عملاق تتصاعد من فوهته النيران ، ولاحظ المهندس فى قلق :

- « التغير سريع .. »

قال الصحفى :

- « لا تنس أن التغير بدأ من زمن .. لقد شعرنا به حين كنا نفتش فى الجزيرة عن كابتن (نيمو) وكان هذا فى أكتوبر .. نحن الآن فى يناير .. »

وشعر الرجلان باهتزازات تحت قدميهما .. لقد كانت النيران تغلى فى باطن الأرض الآن .. ثم سرعان ما اندلعت النيران من فوهة البركان تلتها انفجارات متلاحقة كأنما هى من بطارية مدفعية ..

وبرغم هذا التوتر عاد سكان الجزيرة إلى النوم .. ومرت ثلاثة أيام من العمل المتواصل فى السفينة .. بينما ذهب المهندس إلى الجبال ليتفقد شيئًا لم يفسره ..

حتى هذه اللحظة لم يبد أن الحمم بلغت فوهة

البركان .. فقط كانت هناك صخور تتواثب لأعلى ثم تهبط ثانية فى الفوهة .. وقال (بنكروفت) فى مرح :

ـ « البركان يلعب بالكرة والقدح .. إنه حاو بارع ! »

فجأة رأى الرجال المهندس عائدًا مندفعًا .. طلب منهم أن يكفوا عن عمل اليوم ، وهرع الجميع إلى بيت الجرانيت .. هناك قال لهم وصوته يخون عواطفه الخبيئة فيتهدج :

ـ « لقد أنذرنى الكابتن (نيمو) من هذا .. هذه الجزيرة لم تخلق كى تتحمل الكارثة القادمة ، والسبب فى هذا يكمن فيها هى نفسها .. لا شىء ولا أحد يمكنه إنقاذها .. »

تساءل (بنكروفت) فى دهشة غير فاهم :

ـ « الكابتن (نيمو) قال لك هذا ؟ »

ـ « كانت هذه آخر خدمة قدمها لنا وهو حى .. ولسوف تعرفون حالاً أنه سيقدم لنا المزيد من الخدمات بعد وفاته !! لقد قمت باستكشاف كهف

(داكار) تحت الماء ، الذى لايفصله عن البركان إلا جدار واحد ، وقد وجدته مليئًا بالصدوع التى يتسرب منها بخار الكبريت .. هذه ليست المشكلة .. المشكلة هى أن الكابتن (نيمو) أنذرنى من أن ماء البحر سيدخل من هذه الشقوق إلى البركان .. »

قال (بنكروفت) فى سذاجة :

ـ « لا مشكلة .. ستطفئ المياه البركان وتنتهى المشكلة .. »

ـ « بل هى البداية .. إن تسرب مياه البحر إلى قلب البركان الملىء باللافا لن يؤدى إلا إلى انفجار الجزيرة كلها ، وكأنها جزيرة (صقلية) تنفجر بعدما تسربت مياه البحر المتوسط إلى قلب بركان (إتنا) .. »

والحقيقة أن فكرة إطفاء البراكين الملاصقة للبحر خطرت لأناس كثيرين من قبل ، عن طريق إحداث ثغرة يتسرب منها البحر إلى قلب البركان .. لكنهم لايعرفون مدى الخطر وأنهم بهذا يؤدون إلى نسف

جزء من الكرة الأرضية ، كما يحدث لغلاية حدث فى جدارها ثقب .. إن الماء المتسرب إلى تجويف حرارته آلاف الدرجات سوف يتحول إلى بخار ذى ضغط مخيف ..

ولم يكن أول ما شعر به الرجال هو الخوف بل الحزن .. الحزن على جزيرة آوتهم وأخذت منهم كل هذا الجهد ..

وسرعان ماقرر هؤلاء أن عليهم الإسراع بالانتهاء من السفينة قبل حدوث الكارثة ، وراحوا يسهرون الليل فى العمل ، بينما لم يتغير شىء من ناحية البركان ..

إلا أنه فى منتصف الليل ثار البركان ثورة عظمى ، وطار الجزء العلوى المحيط بالفوهة إلى الهواء ، ليسقط نحو الشمال .. وتحررت اللافا من أسرها ، وتصاعدت النيران إلى عنان السماء حتى بدا كأن الهواء نفسه أمسى أحمر ..

ثم بدأت اللافا تنحدر ببطء ، وسرعان ما عرف القوم اتجاهها ..

ـ « الحظائر ! الحظائر ! »

وركضوا ركضًا إلى هناك حيث كانت الحيوانات فى أعتى درجات الذعر والانفعال .. هناك أطلقوا سراح الحيوانات فتحررت وراحت تركض فارة .. ثم وصلت الحمم لتحيل المكان إلى رماد خلال ثوان معدودة .. ومن جديد واصلت رحلتها الرهيبة ..

صار البركان غريب الشكل يصعب أن يميزه من رآه من قبل .. وراحت الصواعق تهبط من السماء مدوية ، حتى ليختلط صوتها بصوت البركان الهادر .. وبدأت اللافا تتحرك نحو الرجال حيث وقفوا جوار سفينتهم ، من ثم هرعوا إلى الفئوس والأخشاب وكوموها فى دقائق ليصنعوا مرتفعًا صغيرًا .. سرعان ما بلغته اللافا .. وراحت تحاول الالتفاف حول هذا السد الذى يمنعها من بلوغ الشرق ، ثم استدارت لتنصب فى البحيرة ..

ولكن أى قلم يمكنه أن يصف هذا اللقاء المروع بين اللافا والماء ؟ لقد تصاعد البخار فى السماء أميالاً ، لكن مهما كثر ماء البحيرة فلابد له أن يتبخر كله ، بينما اللافا تأتى من معين لا ينضب فى باطن الأرض .. وراحت الحمم الأولى تتجمد إذ تلمس الماء بينما تليها حمم أخرى تغدو أصلب .. حتى تجىء حمم لا تتجمد .. والبحيرة تنذر بأن تفيض بما امتلأت به ..

ومرت ستة أيام والرجال يعملون فى السفينة كأنهم مائة .. وسأل (سبيلت) المهندس :

ـ « ألا تشعر أن البركان بدأ يهدأ قليلاً ؟ »

ـ « لا فارق بالنسبة لنا .. فى أية لحظة سيتسرب ماء البحر إلى قلب البركان .. نحن مسافرون فى سفينة تحترق ، وفى أية لحظة سيدخل اللهب إلى مخزن الذخيرة .. العمل ! لا شىء سوى العمل .. دعنا لا نضيع لحظة واحدة ! »

وكانوا يرون كل يوم شيئًا جديدًا مما صنعوه بأيديهم يتبخر أو يحترق ، وهلكت أكثر الحيوانات واحترقت أكثر الأشجار ، حتى أدرك المهندس أنهم سيموتون جوعًا حتى لو لم تنفجر الجزيرة ..

والآن بدأت خيوط مخيفة من اللافا تخرج من فوهة البركان وتطير فى كل صوب .. كأنها شلالات من السائل الحارق .. وهنا قرر الرجال أن الوقت قد حان لتعويم سفينتهم حتى لو لم تكن قد انتهت بعد ..

هنا بدأت الفوهة تقذف صخورًا عملاقة إلى البحر ، وثار البحر وارتفعت أمواجه لتغمر كل شىء فى الجزيرة ..

* * *

الفصل السادس

الآن يقف الرجال وكلبهم على مرتفع هو المكان الوحيد الآمن فى الجزيرة كلها .. لقد هلك القرد (جوب) وسط الأمواج العاتية ، أما السفينة التى علقوا عليها حلمهم فقد صارت حطامًا ..

ليس معهم طعام ولا ماء إلا ما يكفيهم يومين آخرين بعدهما تجىء النهاية .. الآن لم يعد علمهم ذا نفع .. إنهم فى يدى اللّه .. وكان (نيب) والصبى قد بدأا يهلوسان فعلاً ..

وقال (بنكروفت) فى غيظ :

ـ « لو كانت معنا قشرة بندق لاستعملناها للهرب من هنا إلى جزيرة (تيبور) .. لقد كان الكابتن (نيمو) على حق حين مات !

حقًا لم يعد هناك أدنى أمل ، ولم يعد أمامهم إلا الموت أقسى وأشنع ميتة بالجوع والظمأ ..

إلا أنه فى اليوم التالى صباحًا ، نهض (آيرتون) ولوح بيده وأشار إلى الأفق .. لم يكن لديه من القوة ما يسمح له بقول شىء .. وفى النهاية خرج صوته الواهن :

ـ « الدونكان) !! »

وهناك فى الأفق ظهر شراع سفينة قادمة من بعيد ..

كانت هذه هى (الدونكان) فعلاً التى عاد بها ابن كابتن (جرانت) إلى جزيرة (تيبور) بحثًا عن الرجل الذى نفوه هناك اثنتى عشرة سنة ..

ولم يدر الأصدقاء كيف ولا متى وجدوا أنفسهم على السفينة .. لم يفهموا أنهم لم ينجوا فحسب ، بل هم الآن ذاهبون إلى وطنهم الأم ..

ولما استعادوا قواهم تساءل (هاردنج) :

ـ « ما الذى جعلك أيها القبطان تقطع كل هذه المسافة من جزيرة (تيبور) إلى هنا عندما لم تجد (آيرتون) ؟ »

قال القبطان وهو يقدم ورقة إلى (هاردنج) :

- « كنت أبحث عنكم أساسًا .. لقد وجدت فى (تيبور) كوخًا ، وبه هذه الرسالة التى كتبتموها لى ، وبها إحداثيات جزيرة (لنكولن) وكل شىء عنكم .. »

- « لم تكن هذه الرسالة رسالتنا ، ولكن كتبها الكابتن (نيمو) .. ومن جديد يصدق ما قلته من أن الرجل سيخدمنا بعد وفاته أكثر مما خدمنا فى حياته ! »

وكان أمامهم مستقبل طويل يقضونه معًا ، فقد تعاهدوا على ألا يفترقوا .. عادوا لوطنهم أمريكا الذى استراح من أهوال الحرب ، واشتروا مزرعة فى (أيوا) أطلقوا عليها اسم (لنكولن) .. وهناك عاشوا معًا سعداء كأسرة واحدة .. ولكنهم لم ينسوا يومًا تلك الجزيرة ، ولا صخرة الجرانيت التى هى آخر ما بقى من كهف .. والتى يرقد تحتها جثمان من كان يدعى بالكابتن (نيمو) .

(جول فيرن 1870)

* * *

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

الجزيرة الغامضة

41

كانوا ستة أسرى حرب استطاعوا النجاة من منطاد ، واستطاعوا أن يكونوا مجتمعًا مستقرًا متكاملاً على هذه الجزيرة ... لكن الأمور لاتسير كما يشتهون .. والأخطار تظهر من أفق صاف ..

ثمة أشياء غريبة تحدث على الجزيرة الغامضة .. أشياء لا يمكن تفسيرها ، ونعيشها لحظة فلحظة فى هذه القصة الممتعة لـ (جول فيرن) ..



العدد القادم
451 فهرنهايت

الثمن فى مصر ٢٠٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم